سلسلة قصص رهبانية

(٧)

سيرة المتنيح

الأنبا ثاؤفيلس

إعداد

الراهب القمص

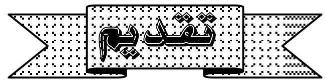
زكريا السرياني

مراجعة وتقديم

نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

باسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين



كتبنا قبل ذلك كتابين عن مثلث الرحمات الحبر الجليل الأنبا ثاؤفيلس أسقف ورئيس دير السريان السابق، واحد بمناسبة قداس الأربعين لنياحته، والثاني بمناسبة قداس السنة الأولى لنياحته، وكلا الكتابين كانا عبارة عن مقالات عن الأنبا ثاؤفيلس وفضائله وجهاداته، وكتب هذه المقالات بعض من أبنائه الأساقفة والرهبان بالإضافة إلى كلمة **قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث** التي ألقاها في قداس الأربعين وما كتبه قداسته عند نياحة الأنبا ثاؤفيلس في مجلة الكرازة الغراء وكان قداسته وقتها مسافراً إلى أمريكا.

الآن وبعد مرور خمسة عشر عاماً على نياحة الأنبا ثاؤفيلس قام واحد من أبنائه المخلصين الذين تمت رهبنتهم بيده المباركة هو **الراهب القمص زكريا السرياني**، قام بتجميع مادة هذا الكتاب عن نيافة الأنبا ثاؤفيلس كسيرة ذاتية لنيافته منذ ولادته ثم شبابه المبكر ورهبنته وكهنوته ورياسته للدير وسيامته أسقفاً، ثم تكلم عن حكمته وفراسته وفضائله الكثيرة وأعماله في تعمير الدير رهبانياً وعمرانياً حتى نياحته في ٥ / ١٢ / ١٩٨٩م.

إنه كتاب قيم يحكي سيرة أسقف عظيم ترك بصماته واضحة

على دير السريان بصفة خاصة وعلى الكنيسة كلها بصفة عامة.

نشكر **الراهب القمص زكريا السرياني** على مجهوده ونرجو لكتابه الانتشار حتى يستفيد به الكل، وننتفع نحن كلنا بسيرته وصلواته أيضاً.

بشفاعة أمنا العذراء القديسة الطاهرة مريم وصلوات أبينا المكرم البابا الأنبا شنوده الثالث، الابن البار لدير السريان العامر، حفظه الله ذخراً للرهبنة وللكنيسة كلها آمين.

الأنبا متاؤس
أسقف دير السريان العامر

٥ ديسمبر ٢٠٠٤م
٢٦ هاتور ١٧٢١ش } تذكار نياحة الأنبا ثاؤفيلس

مقدمة

في ذكرى مرور خمسة عشر عاماً على نياحة نيافة الحبر الجليل الأنبا ثاؤفيلس وخضوعاً لرغبة كثير من الآباء الرهبان وخاصة رهبان دير السريان العامر وغيرهم من العلمانيين الذين تعاملوا مع المتنيح الأنبا ثاؤفيلس ولمسوا فيه الأبوة والفضيلة. وجدت نفسي ملزماً أن أكتب سيرة هذا الرجل العظيم بعد أن لمست في كلامهم ومشاعرهم محبة غامرة فياضة تتأجج من قلوبهم نحوه تشهد على أبوته ومحبته لأولاده الرهبان.

إن كان الأنبا أنطونيوس أب رهبان العالم كله منذ القرن الثالث حتى الآن، ومن بعده القديس مكاريوس الكبير والأنبا باخوميوس أب الشركة والأنبا شنوده رئيس المتوحدين وكثيرون مثلهم صاروا آباء لأجيالهم ولمن بعدهم. فسوف يذكر التاريخ دائماً أن المتنيح الأنبا ثاؤفيلس أب رهبان القرن العشرين ولغيرهم من بعدهم. فكل شخص لم يسمح له الزمن من رؤيته في حياته والتلمذة على يديه، سوف يقرأ في هذا الكتاب بعض أقواله وأعماله وتعاليمه ومبادئه وسيجد فيها روح الآباء الأول الذين عاشوا الرهبنة في مجدها. وبلا شك سينتفع بها.

إن حياة الأنبا ثاؤفيلس مدرسة رهبانية قلما يجود بها الزمن. فمهما كتبنا عنه لن نفي حق نيافته، فهناك كثير من الأحداث والأعمال والأقوال حدثت مع نيافته، يصعب صياغتها في

كلمات أو روايات. ولذلك أعترف بتقصيري وعجــزي عــن الإلمام بكل شيء في حياته.

أتقدم بالشكر الجزيل لحضرة **صاحب النيافة الأنبا متــاؤس أسقف ورئيس دير السريان العامر** الذي شجعني على كتابــة هذه السيرة العطرة والذي أستقطع من وقته الكثير لمراجعة هــذا الكتاب والتقديم له وإضافة معلومات جديدة له.

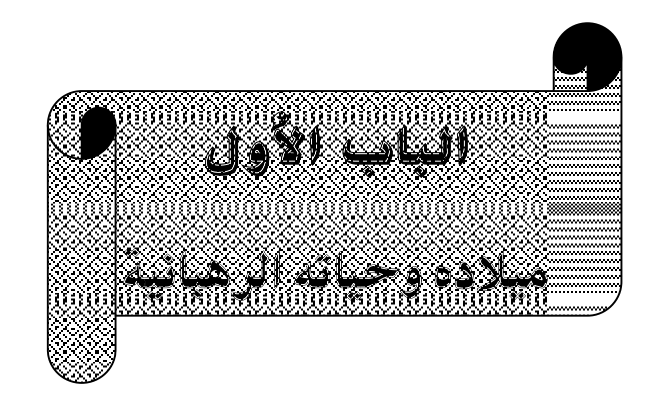
كما أقدم الشكر الجزيل للآباء رهبان دير الــسريان العــامر الذين أمدوني بمادة هذا الكتاب، وغيرهم من الإخوة العلمانيين **وخاصة الدكتور عادل باقي ابن أخت المتنيح الأنبا ثاؤفيلس.** كما أقدم الشكر لكل الآباء الذين قاموا بمراجعة هذا الكتــاب لغوياً وتجميعه على الكمبيوتر وإخراجه بهذه الصورة اللائقة.

أطلب من الرب أن يرافق روحه القــدوس كلمــات هــذا الكتاب لمجد اسمه القدوس. بشفاعة القديــسة الطــاهرة مــريم والقديس الأنبا يحنس كاما شفيع الــدير وصــلوات صــاحب القداسة والغبطة البابا المكرم الأنبا شنوده الثالــث وشــريكه في الخدمة الرسولية أبينا الأسقف المحبوب الأنبا متاؤس وبركة المتنيح الأنبا ثاؤفيلس تشملنا جميعاً، ولإلهنا كل مجد وكرامة إلى الأبــد آمين.

الراهب القمص

زكريا السرياني

صوم الرسل الأطهار ٢٠٠٤م، ١٧٢٠ش



الفصل الأول: ميلاده وحياته الأولى

الفصل الثانى: حياته الرهبانية



١ – ميلاده ونشأته.
٢ – اهتمام عمه به.
٣ – العلب الصفيح يعمل بها شورية.
٤ – أحد الرهبان يعلن صوت الله.
٥ – ينمو في القامة والنعمة والعلم.
٦ – تأثره واشتياقه للحياة الرهبانية.
٧ – الإعداد للرهبنة.
٨ – والده يرجعه من دير الأنبا صموئيل.
٩ – والده يخطب له.
١٠ - إلى دير السريان.
١١ - استجابة السماء لدعوة أمه له.

الفصل الأول

ميلاده وحياته الأولى

(١) ميلاده ونشأته :

قرية الريدانية هي قرية هادئة جميلة، من أعمال المنصورة، محافظة الدقهلية. ربما لم تكن تظن هذه القرية البسيطة أنه سيخرج منها أحد المشاهير العظماء في القرن العشرين، إنه **المتنيح الأنبا ثاؤفيلس.**

كان في تلك القرية أناس بسطاء، مسيحيون أتقياء، محبّون للإله ومخلصون للكنيسة، ضمن هؤلاء كانت أسرة المقدس صادق بانوب وزوجته حنة، وهي أسرة تقية بارة تخاف الله وتعبده بإخلاص، وكان المقدس صادق بانوب من أعيان بلدته، وكان ناظراً لأوقاف كنيسة السيدة العذراء بالريدانية. وقد رزقهما الله بأربعة أبناء أتقياء أيضاً. كان أكبرهم ابنهما البكر عبد الشهيد صادق بانوب (المتنيح الأنبا ثاؤفيلس) وكان ميلاده في ١٠ / ٣ / ١٩٠٨م (الموافق أول برمهات عام ١٦٢٤ش). ثم بعد سنتين من ميلاده رزقهما الله بابنة وبعدها بسبع سنوات أعطاهما الله ابنة أخرى. ثم في عام ١٩٢٦م أعطاهما الله ابناً آخر سُمى سعد صادق (وهو الدكتور الصيدلي سعد صادق).

وقد قامت الأم البارة " حنة " بتربية أولادها تربية مسيحية حقيقية منذ نعومة أظافرهم، فقد علَّمَتهم الصلاة، وقراءة الكتاب المقدس، والذهاب إلى الكنيسة باستمرار، والحياة بعشرة قوية مع الله، فنشأوا أولاداً روحيين، ولكن عبد الشهيد ازداد عن كل إخوته — بمحبته الشديدة لله وعلاقته القوية معه.

(٢) اهتمام عمه به

وقد شجعه على ذلك الاهتمام والعناية الكبيرة التي شملته من عمه القمص مترى بانوب كاهن كنيسة السيدة العذراء مريم بالريدانية. الذي لم يكن له أولاد فكان يعتبر أولاد أخيه أولاداً له. وكان القمص مترى يأخذه معه في كل قداس يصليه. وكان يعلمه علوم الكنيسة وطقوسها. ولما كبر عبد الشهيد علمه عمه القمص مترى بانوب سر الاعتراف فكان يعترف عليه بصفة مستمرة حتى وقت ذهابه إلى الدير للرهبنة.

(٣) العلب الصفيح يعملها شورية

أحاط القمص مترى بانوب ابن أخيه عبد الشهيد بمحبة خاصة. شعر بها عبد الشهيد جعلته يرتبط ارتباطاً قوياً بعمه حتى إنه كان يتمثل بما يعمله عمه. فكان يجمع علب الصفيح الفارغة ويربطها بحبال ويمسكها بيده ويحركها مثل الشورية. فأدخل هذا السلوك الغريب خوفاً ودهشة في قلب أبويه ترى ماذا يكون هذا الصبى؟!!

(٤) أحد الرهبان يعلن صوت الله

كان لأسرة عبد الشهيد منزل في شارع تعبان (شق الثعبان) بقرب العزباوية (مقر دير السريان) وكانت الأسرة تقيم بينه وبين منزلهم في الريدانية. وحينما كانت تقيم الأسرة في منزلهم بالقاهرة اعتادت والدة عبد الشهيد أن تأخذ معها ابنها عبد الشهيد وتذهب إلى العزباوية لأخذ بركة أم النور والبئر الذي شربت منه العائلة المقدسة. وفي العزباوية كثيراً ما كانت تتقابل مع القمص مكسيموس السرياني رئيس دير السريان فكان كل مرة يقول لها (ابنك ده مش بتاعك) فكانت تمضى راجعة إلى منزلها وهي تحفظ هذا الكلام متفكرة به في قلبها.

نعم لقد كانت السماء تُعده، وكما يقول الله لإرميا النبى " قبلما صوَّرتك في البطن عرفتُك، وقبلما خرجت من الرحم قدستُك " (إر ١ : ٥) إعداداً إلهياً خاصاً، ليحيا له بقية عمره على الأرض.

وأما من جهة أسرته الطيبة المباركة، فقد عاشت والدته التقية إلى أن رأت ابنها راهباً ثم قساً ثم قمصاً ثم أسقفاً لدير السريان، ورحلت بسلام فجأة بلا مرض في عام ١٩٥١م، وقد عزاه الله عن نياحتها إذ قال نيافته آنذاك مؤكداً قداستها " إنها رحلت إلى السماء " وكان مستريحاً لأنها لم تمرض ولم تُتعب أحداً، أما والده الفاضل فقد عاش مترملاً بعد نياحة زوجته حتى تنيح في

شيخوخة صالحة في أكتوبر ١٩٧٢م.

(٥) وكان ينمو في القامة والنعمة والعلم

بدأت تظهر علامات الذكاء والنبوغ على الطفل عبد الشهيد منذ حداثته، وبدأ ينمو جسدياً وروحياً، وشق طريقه بنجاح في مجال العلم، فكان متفوقاً في دراسته في جميع المراحل التعليمية، وأنهاها بحصوله على " دبلوم الصنايع / قسم ميكانيكا "، وكان هذا المؤهل في وقته ذا مكانة عالية، فهو يعادل الآن بكالوريوس الهندسة.

(٦) تأثره واشتياقه للحياة الرهبانية

منذ سنوات عديدة كانت الطرق غير ممهَّدة للأديرة، ولهذا السبب كان بعض الآباء الرهبان من الأديرة، يتجولون في المدن والقرى، كي يجمعوا التبرعات للأديرة، وذلك لأن الزيارات كانت نادرة جداً للأديرة.

وكان أحد آباء رهبان دير البرموس، يزور قرية الريدانية التي تقطنها أسرة عبد الشهيد، ونظراً لمكانة والده المقدس صادق بانوب، كان هذا الأب الراهب يزور هذه الأسرة ويبيت لديهم، ويتحدث معهم عن الآباء الرهبان القديسين، وعن البرية المقدسة وجمال العِشرة مع السيد المسيح فيها.

وفي وسط هذه الأحداث، كان من الطبيعي جداً أن تتأثر

نفسية عبد الشهيد المرهفة بهذا الكلام الروحي، فأحب الرهبنة جداً من خلال محبته لهذا الأب الراهب، واشتاق أن يصبح راهباً- يوماً ما — مثل الآباء الرهبان القديسين، الذين كان يسمع عنهم من هذا الأب الراهب المبارك.

(٧) الإعداد للرهبنة:

وهكذا يوماً بعد يوم كانت فكرة الرهبنة تترعرع في قلب هذا الشاب المتأجج بالحب الإلهي، نعم فلقد أشرقت عليه أشعة شمس الرهبنة المقدسة منذ حداثته، ويوماً فيوماً كان يتم إعداده في مدرسة الحب الإلهي، إلى أن حانت الساعة المقدسة التي أرادها الله له لينطلق نحو البرية ليترهَّب.

وقد أشعل مشاعر الحب الإلهي لديه والاشتياق للرهبنة، البيئة المقدسة التي عاش فيها وتربى في أحضانها منذ صغره، سواء الأسرة التقية التي نشأ فيها، أو الكنيسة التي عرف الطريق إليها منذ مهده وطوال حياته، وتعلّم فيها محبة الله.

وإزاء هذه الأفكار النيرة، والاشتياقات المفعَمة حباً، كان طبيعياً أن تظهر آثارها وتنعكس على حياته، فازداد حضوره إلى الكنيسة بما فيها من قداسات واجتماعات روحية، وازداد قراءة وبحثاً للكتب الروحية والكتاب المقدس، وشعر جميع مَنْ حوله بأنَّ في وسطهم إنساناً روحياً غير عادى، إذ كانت الروحانية والجدية والالتزام الشديد تشع من حياته، وهكذا اكتملت

مرحلة الإعداد الإلهي لهذه الشخصية المباركة، للاتجاه نحو الرهبنة.

(٨) والده يرجعه من دير الأنبا صموئيل:

لم يحتمل الشاب عبد الشهيد أن يعطى عمره للعالم أكثر من هذا. ففي يوم ما بعد أن أعلم عمه وأب اعترافه القمص مترى بانوب بما ينوى من تحقيق رغبته والذهاب إلى دير الأنبا صموئيل للرهبنة. خرج في طريقه وهو في غاية الفرح إلى أن وصل إلى دير الأنبا صموئيل المعترف. وبعد أن قضى فيه أياماً قليلة، جاء والده خلفه إلى دير الأنبا صموئيل ليبحث عنه، بعد أن علم من أخيه القمص مترى بانوب عن مكان ابنه عبد الشهيد. وأحضر له الرهبان ابنه الشاب عبد الشهيد لعله يهدأ من ثورته عندما يراه. وحاول عبد الشهيد إقناع والده بأن لا يقف عائقاً في تحقيق رغبته وحاول أيضاً معه بعض الرهبان ولكن كل المحاولات باءت بالفشل. إذ صمم المقدس صادق بانوب أن يأخذ ابنه معه. وبالفعل أخذه معه ورجعا إلى مترلهم في الريدانية.

ورغم كل هذا لم تنطفيء محبة الحياة الرهبانية داخل قلب عبد الشهيد بل ازدادت التهاباً وتصميماً على معاودة الذهاب للدير مرة أخرى، ولكن في كل مرة كان يذهب فيها عبد الشهيد إلى دير الأنبا صموئيل كان والده يرجعه من هناك.

(٩) والده يخطب له:

بعد آخر مرة رجع فيها المقدس صادق بانوب مع ابنه عبد الشهيد فكر في أن يخطب لابنه حتى ييأس من تحقيق هدفه ولا يعاود الذهاب مرة أخرى إلى أحد الأديرة. فخطب له بنت أحد الأعيان من قريته وفرح الوالد بتنفيذ خطته ظناً منه إنه بهذا يمنع ابنه من تنفيذ رغبته. ولكن استمرت شهوة الحياة الرهبانية متأججة في قلب ومشاعر عبد الشهيد.

(١٠) إلى دير السريان:

في كثير من الأزمنة تنبع شهرة الدير من شهرة خرّيجيه الأتقياء، وفي ذلك الحين جلس على كرسي مار مرقس الرسول، المتنيح البابا كيرلس الخامس، وكان قبل ذلك من رهبان دير السيدة العذراء (برموس)، ولهذا السبب طبقت شهرة الدير الآفاق، وقد اهتم البابا كيرلس الخامس بتعمير دير البرموس رهبانياً وعمرانياً، فكان طبيعياً أن يحتل دير البرموس آنذاك مركز الصدارة في الشهرة.

أضف إلى ذلك تأثير الأب الراهب البرموسى (الذي من دير البرموس) في حياة الشاب عبد الشهيد، فكانت هذه كلها داعياً له أن يترهب في دير البرموس، ولكنه لمحبته القوية للاتضاع وإنكار الذات والهدوء فضَّل ألا يترهب في دير معروف أو ذى شهرة كبيرة، ولأجل هذا السبب اختار أن يترهب في دير السيدة العذراء الشهير بدير السريان (والذي آنذاك لم تكن له

نفس شهرة دير البرموس).

فقد خرج عبد الشهيد منطلقاً إلى دير السريان تاركاً خطيبته وأسرته وهو عازم من كل قلبه ألا يرجع مرة أخرى إلى العالم مهما كانت الأسباب ومهما حاولت أسرته وخاصة أبيه وأمه من استعطافه واسترحامه حتى ينثني عن عزمه.

وفي هذه المرة استسلم أبوه وخضع لمشيئة الله ولم يخرج وراء ابنه ليرجعه كما فعل في المرات السابقة.

أما أمه فقد تأثرت جداً بعد أن تركها ابنها عبد الشهيد وذهب إلى دير السريان واستمرت تبكي عليه أياماً كثيرة حتى إنه من شدة حزنها عليه كانت تقاطع كل شخص يحاول أن يطيب خاطرها ويعزيها.

(١١) استجابة السماء لدعوة أمه له

دام حزن والدة عبد الشهيد مدة طويلة إلى أن سافرت بالقطار مع زوجها المقدس صادق بانوب لزيارة القدس والأماكن المقدسة فيها التي تباركت بالسيد المسيح وكان ذلك في عام ١٩٣٦م.

وأثناء وجودها في كنيسة القيامة، مر أمامها الأنبا ثاؤفيلس

مطران القدس ([1]) وهو يبخر أمام الأيقونة أثناء الزفة وكان على وجهه الجلال والبهاء والهيبة وهو بملابسه الكهنوتيـــة. فرفعـــت قلبها إلى الله وقالت له في عتاب " أنت حكمت وأخذت ابـــني أحكم أشوفه زى ده (أي مثل المطران) ".

وبعد الانتهاء من زيارهما إلى القدس رجعـــت إلى بيتـــها في الريدانية ورفع عنها الله الحزن الذي كان يملأ قلبها وشملها الفرح والبهجة وقد تحققت دعوهما وعاشت إلى أن رأت ابنها أســـقفاً ورئيساً على دير السريان باسم الأنبا ثاؤفيلس.

([1]) الأنبا ثاؤفيلس مطران القدس كان في الفترة مـــن ١٩٣٥م حـــتى ١٩٤٥م ولم يتسمى أحد بهذا الاسم حتى رسامة الأنبـــا ثـــاؤفيلس رئيس دير السريان عام ١٩٤٨م.(كتاب تاريخ باباوات الكرســـي الأسكندرى ١٨٠٩م – ١٩٧١م إعداد القمص صموئيل تاوضروس السرياني.)



١ ـ رهبنته بدير السريان العامر.
٢ ـ جهاداته، واحتماله للحروب.
٣ ـ تجربة أخرى أصعب.
٤ ـ طرده مرة أخرى من الدير.
٥ ـ العمل في وادي النطرون.
٦ ـ الله يكلل صبره، وتتم رسامته قساً.
٧ ـ إرساله للدراسة في مدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان.
٨ ـ تعيينه وكيلاً للدير بالعزباوية.
٩ ـ رسامته قمصاً.
١٠ ـ تعيينه رئيساً لدير السريان.
١١ ـ أمثلة لأبوته وحنانه.
١٢ ـ سيامته أسقفاً لدير السريان.

١٣ ـ اهتمامه بالدير وتعميره له.

حياته الرهبانية

(١) رهبنته بدير السريان العامر:

كما ذكرنا سابقاً، أن فكرة الرهبنة قد اختمـــرت في عقـــل وقلب ووجدان الشاب عبد الشهيد، وقد آن الأوان، ليخطـــو خطوة جديَّة نحو الهدف.

ففي أواخر عام ١٩٢٥م، اتجه عبد الشهيد نحو دير السريان طالباً الترهب به، وكان آنذاك يبلغ من العمر حـــوالى الـــسابعة عشرة سنة.

وقد تم قبوله كطالب للرهبنة (تحت الاختبـــار)، وخـــلال شهور قلائل أظهر فيها عبـــد الـــشهيد روحانيتـــه واتـــضاعه وخضوعه للآباء، ففاز بمحبة الآباء جميعاً له.

وإزاء ما لاحظوه في شخصه من جدية وثبات ونشاط ومحبة لله وللآباء جميعاً، قدَّم الآباء الرهبان تزكية – لهذا الشاب – إلى الأب القمص مكسيموس السرياني رئيس الدير آنذاك (والذي كان مقيماً في العزباوية بالقاهرة)، طالبين تصريحه برهبنة هـــذا الأخ الجديد.

وبناءً على تزكيتهم أرسل الأب القمص مكسيموس رئـــيس دير السريان، رسالة إلى أمين الدير (الربيتة) الذي كان آنذاك

هو القمص جرجس أبو كفة، يصرّح له فيها بتكريس الأخ عبد الشهيد راهباً.

وفي يوم ٢٩ يناير عام ١٩٢٦م، الموافق ٢١ طوبة ١٦٤٤ش، قام القمص جرجس أبو كفة برسامة الأخ عبد الشهيد راهبـــاً باسم الراهب ثاؤفيلس (ومعناه محب الإله).

وليس عجيباً أنَّ ذلك اليوم يكون موافقاً لعيد نياحة القديسة العذراء مريم والدة الإله، فكأنها توافق على اختياره ابناً لهـــا في ديرها، عالمةً أنه سيقوم بنهضة عظيمة في ديرها العامر.

ولقد كانت رهبنة الراهب ثاؤفيلس السرياني في آخر عهـــد البابا كيرلس الخامس.

(٢) جهاداته واحتماله للحروب:

بعد أن نال الأب الراهب ثاؤفيلس نعمة الرهبنة، وشعر بأنـــه وضع قدميه على أول درجات السلم السمائى، أظهـــر حبَّـــه المتأجج لله، بأن ازداد في جهاداته الروحية، من نسك وصـــلاة وصوم وسهر وحب متواصل نحو الله، وطاعة وخدمة متفانيـــة للآباء لكي يأخذ بركة الجميع، وإزاء هذه الفضائل صار محبوباً جداً من الآباء الرهبان.

ولكن هل يقف عدو الخير صامتاً مقابله؟، بالطبع لا، فإنـــه كعادته يثير الحرب الشرسة على أولاد الله المخلصين، مستخدماً

بعض النفوس الضعيفة في ذلك، فأثار الشيطان غيرة وحسد البعض على الراهب ثاؤفيلس، حاسدين إياه على درجته العلمية النادرة التي كان يتمتع بها دونهم، وعلى فوزه بمحبة غالبية رهبان الدير.

فبدأ هؤلاء الضعفاء يقاومونه ويضايقونه ويعاملونه بقساوة، وهاك مَثَلٌ على ذلك (أنهم كانوا يأمرونه ويجبرونه على النزول في حوض المياه ليقوم بغسل القمح، وذلك في شهر طوبة حيث البرودة الشديدة للجو، وقد كانت المياه شبه مثلجة) وكان يطيعهم في كل ما كانوا يأمرونه به بلا تذمر، ورغم ذلك كانت الحروب تزداد عليه.

إلا أنَّ الراهب ثاؤفيلس المؤسس على الصخرة، لم يهتز و لم يتزعزع، لأن حب الرب يسوع كان يملأ قلبه حتى لمن يبغضه أو يعامله بقسوة، فقابل الجحود والقسوة بالحب والغفران، بل كان يزداد حباً وطاعةً لجميعهم، لقد تشبّه بسيده الرب يسوع الذي " ظُلِمَ، أما هو فتذلَّل و لم يفتح فاه" بل كان " كشاة تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازّيها " (إش ٥٣).

(٣) تجربة أخرى أصعب :

(طرده من الدير) :

لم يقبل عدو الخير احتمال الراهب ثاؤفيلس للتجربة السابقة

بشكر، فأشعل نار التجارب عليه بدرجة أكبر، وتركه الله يتمحص ويتزكي بالتجارب، ولكنه كان يسنده دائماً.

لقد اشتعلت الحرب عليه أكثر، إذ قد صمم أولئك الضعفاء على طرد الراهب ثاؤفيلس من دير السريان، وبالفعل طردوه، أما هو فأطاعهم صامتاً، وذهب إلى دير الأنبا صموئيل المعترف بجبل القلمون، وظلّ هناك فترة كبيرة تتراوح بين سنة وسنتين.

ولما رأي الله صبره واحتماله للتجربة بشكر، دبّر له العودة مرة أخرى إلى ديره (دير السريان) الذي ترهب فيه، ففرح بعودته الآباء الذين كانوا يحبونه، واستقبلوه بالترحيب والفرح.

(٤) طرده مرة أخرى من الدير :

قد أثار عليه عدو الخير الحرب مرة أخرى، إذ قد تآمر عليه أولئك الحاسدون له، و لم يسترح لهم بال حتى طردوه مرة أخرى خارج الدير.

ومَنْ ينظر إلى هذه الأمور، قد يبدو له أنَّ الشر قد انتصر على الخير، ولكن كما يُقال " العبرة بالنهاية "، فوراء كل الأشياء مهما كانت صعبة، توجد يد الله لمساندة أولاده، وتحويل الشر إلى خيرهم، فلابد للخير أن ينتصر أخيراً، كما قال يوسف الصدِّيق لإخوته "أنتم قصدتم بى شراً، أما الله فقصد به خيراً ".

(٥) العمل في وادي النطرون :

لم يحتمل الراهب ثاؤفيلس أن يبتعد عن ديره مرة أخرى، لأنه ارتبط بحب قوى لدير السريان، فرغم أنهم طردوه منه، إلا أنه كان من الصعب عليه أن يتركه ويعيش بعيداً عنه.

فظل يفكر كيف يتصرَّف؟، فأرشده الله أن يسكن في وادي النطرون، وأن يعمل هناك أي عمل، بهدف أن يكون قريباً من ديره الذي أحبه.

وبالفعل سكن الراهب ثاؤفيلس في وادي النطرون، وظل مرتدياً زيَّه الرهباني (ملابسه الرهبانية)، وعاش وسط العلمانيين راهباً كاملاً (مرتدياً جلبابه الأسود)، ومتمنطقاً بمنطقته الرهبانية، ومُطلقاً لحيته)، وعمل هناك بائعاً للملح (الذي كان يُستخرج من ملاّحات وادي النطرون)، ويقتات بثمن ما يبيعه.

وبعد فترة وجد عملاً بإحدى الورش الميكانيكية التابعة للجيش المصرى (أي ورشة ميرى)، إذ كانت تحتاج لمتخصص في الميكانيكا.

واستمر الراهب ثاؤفيلس على هذا الحال، وكان يزور ديره من حين لآخر، ولم يقبل أن يبتعد عنه ولا لكي يذهب للخدمة مع أي أب أسقف في إحدى الإيبارشيات (كما كانت العادة مع بعض رهبان جيله).

(٦) الله يُكلل صبره، وتتم رسامته قساً:

اعتاد البابا يوأنس التاسع عشر (البابا ١١٤)، منذ جلوسه على كرسي مار مرقس الرسول، أن يزور أديرة وادي النطرون كل عام، ويقضى يوماً بكل منها ويبيت ليلة في كل دير من الأديرة، وفي صباح اليوم التالي يُصلى القداس الإلهي ويقوم برسامة بعض الآباء الرهبان في رتبة القسيسية.

فكان يبدأ زيارته بدير البرموس، ثم السريان، ثم الأنبا بيشوى، ثم أبى مقار، وحينما تحدد موعد زيارة قداسته إلى دير السريان، حضر إلى الدير القمص مكسيموس رئيس الدير (من مقره في العزباوية)، واستدعى جميع الآباء الرهبان الذين كانوا يقومون بالخدمة في كنائس الإيبارشيات المختلفة، وذلك لكي يقوم عدد كبير من الآباء الرهبان باستقبال قداسة البابا يوأنس والاحتفال بقدومه.

وحينما حضر القمص مكسيموس رئيس الدير، علم بما حدث للراهب ثاؤفيلس، فذهب بنفسه إلى وادي النطرون – حيث كان الراهب ثاؤفيلس متواجداً، وأعاده معه إلى دير السريان مرة أخرى، ليشارك إخوته الرهبان في استقبال قداسة البابا يوأنس، وكان ذلك الوقت في شهر أغسطس عام ١٩٣٤م.

وبعدما حضر قداسة البابا إلى دير السريان، واستقبله الآباء الرهبان بكل حفاوة وترحيب، بات في الدير ثم صلى القداس

الإلهي في صباح اليوم التالي، فقدَّم لـه القمص مكسيموس السرياني رئيس دير السريان، الراهب ثاؤفيلس السرياني فرسمه قساً مع رهبان آخرين، وكان ذلك في صوم السيدة العذراء مريم.

وهكذا كللته السماء، وعوضَهُ الله عن احتماله للظُلم والطرد والإهانة، فأصبح كاهناً خادماً للأسرار الإلهية الفائقة، وعاد النور يشرق في حياته بعد فترة الظُلمة التي احتملها بلا تذمر.

(٧) إرساله للدراسة في مدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان :

أنشأ قداسة البابا يوأنس التاسع عشر مدرسة لاهوتية بحلوان، بهدف تعليم الرهبان وتثقيفهم روحياً وعلمياً، وكان كل دير يرسل بعضاً من رهبانه للدراسة بهذه المدرسة.

وقد أرسل القمص مكسيموس رئيس دير السريان، بعض الآباء الرهبان الذين تمت رسامتهم قسوساً للدراسة بهذه المدرسة (والتي كانت تسمَّى مدرسة البابا يوأنس اللاهوتية للرهبان)، وكان ضمن هؤلاء الآباء الراهب القس ثاؤفيلس السرياني، والذي أظهر نبوغاً وتفوقاً غير عادى في دراسته، إذ أنه كان يحصل على درجات عالية طوال فترة دراسته فيها، وحتى تخرجه عام ١٩٣٩م.

(٨) تعيينه وكيلاً للدير بالعزباوية :

يوجد مقر لدير السريان بمنطقة الأزبكية بالقاهرة، يسمى العزباوية والهدف من وجوده، هو نزول الآباء الرهبان به لقضاء مصالحهم أو للعلاج، وكان في الوقت الماضى يتم تعيين أحد الآباء الرهبان وكيلاً للدير بالمقر (العزباوية) لأجل قضاء مصالح الدير وتوفير احتياجاته.

فبعد تخرج الراهب القس ثاؤفيلس في مدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان، تم تعيينه وكيلاً للدير بالقاهرة (في مقر الدير بالعزباوية)، وكان ذلك في أغسطس عام ١٩٣٩م، في عهد القمص فلتاؤس السرياني رئيس دير السريان (الذي خلَفَ القمص مكسيموس الرئيس السابق للدير)، ونظراً لما قام به الراهب القس ثاؤفيلس من أعمال، وتقديراً لكفاءته وأمانته وحُسن إدارته، ظل يعمل وكيلاً للدير لمدة ثماني سنوات (حتى عام ١٩٤٧م).

(٩) رسامته قمصاً :

وفي أثناء فترة عمله كوكيل لدير السريان، وأثناء فترة تردده على بعض البلاد لقضاء مصالح الدير، ذهب إلى الزقازيق بمحافظة الشرقية في عام ١٩٤٦م، وهناك قام المتنيح نيافة الأنبا متاؤس مطران الشرقية برسامته قمصاً.

(١٠) تعيينه رئيساً لدير السريان :

عندما استعفي بطرس من غسل رجليه قال له يسوع " لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع، ولكنك ستفهم فيما بعد " (يو ١٣: ٧)، ففي كثير من الأوقات تمر تجارب وضيقات بالإنسان، ولا يفهم في حينها ما الهدف منها، بل ربما يتضايق من كثرة التجارب.

لكن الله يستخدم هذه الأمور لإعداده وصقله للهدف الذي يعده لأجله.

وخلال الفترة السابقة من حياة الراهب القمص ثاؤفيلس كان قد مر بتجارب كثيرة شديدة وقاسية، ولكنها كانت بهدف تدريبه وإعداده لقيادة الآباء الرهبان خلال جيل بأكمله، حقاً ما أعجب تدابير الله لحياة مَنْ يُسلِّم له نفسه تسليماً كاملاً، ويدبر حياته كلها.

لقد حدث بعد نياحة الأب فلتاؤس السرياني رئيس دير السريان، أن أجمع الآباء الرهبان – بزعامة الأب القمص توما الكبير – على ترشيح الأب القمص ثاؤفيلس السرياني ليكون رئيساً لدير السريان، هذا بسبب ما رأوه من كفاءته في الإدارة (بمقر الدير) وأمانته في عمله (كوكيل للدير)، وقدَّموا تزكيتهم لقداسة البابا يوساب، الذي صدَّق على قرار تعيين القمص ثاؤفيلس السرياني رئيساً لدير السريان بناءً على رغبة الآباء الرهبان في الدير، وكان ذلك في عام ١٩٤٧م.

فلما تبوّأ القمص ثاؤفيلس منصب الرئاسة، سعى جاهداً لإراحة الآباء الرهبان وتحقيق رغباتهم وسد كل احتياجاتهم، فأحبه الآباء الرهبان جميعاً، ورأوا فيه الأب والراعي المريح الحنون، كما أنه بدأ في قبول إخوة جدد، ثم رسامتهم رهباناً على دير السريان، وكان باكورة أولاده هما الراهب يوسف السرياني، والراهب عبد مريم السرياني (وقد تنيحا منذ زمن ليس ببعيد).

(١١) أمثلة لأبوته وحنانه :

لم يكن الأب القمص ثاؤفيلس السرياني حنوناً على الرهبان فقط، بل شمل بعطفه وحنانه العلمانيين أيضاً.

فقد كتبت عنه إحدى الجرائد في ذلك الحين موضحة هذه النقطة، تلك هي جريدة " الوطنية " فقد كتبت في عددها الصادر في ١٥ / ٤ / ١٩٤٨م قصة من الواقع تظهر أبوَّة القمص ثاؤفيلس السرياني، وهي كالآتي:

عناية القمص ثاؤفيلس بوالدة المتنيح الأنبا باسيليوس [٢]

[٢] بتصرف من كتاب سيرة الأنبا باسيليوس مطران الأقصر إعداد أيمن عريان.

رُسم الأنبا باسيليوس مطراناً على مدينة الأقصر، فلما رأي أن الإيبارشية محتاجة لكثير من التعمير والمصاريف الأخرى، والإيبارشية كانت فقيرة لا تمتلك شيئاً، لجأ إلى والدته الثرية فأمدته بكل ما تمتلك من أموال ومقتنيات، استطاع من خلالها تنفيذ وتشييد كل الإنشاءات والمباني في المطرانية، واعداً إياها بتسديد هذه الأموال بعد حين.

ولكن الله أراد أن ينقله سريعاً من هذا العالم، فتنيح قبلما يسدد لوالدته أموالها التي تسلّفها منها، وإزاء هذه الصدمة الشديدة، أضيف على حزن والدته عليه، أنها أصبحت فقيرة محتاجة للعون والمساعدة.

فقام الأب القمص ثاؤفيلس رئيس دير السريان، صاحب القلب العطوف النبيل، بالاهتمام مادياً ومعنوياً، والعطف على والدة المتنيح الأنبا باسيليوس مطران الأقصر، معتبراً إياها والدته تماماً.

نعم لقد كان الأب القمص ثاؤفيلس صاحب قلب عطوف حنون مملوء بالحب والأبوة.

(١٢) سيامته أسقفاً لدير السريان:

بعد مرور الفترات السابقة بكل ما فيها، ونجاحه في الاختبارات الروحية التي امتحنه الله بها ليصقل شخصيته ويزكيه،

أعلن الله مشيئته إذ سمح أن تتم رسامة الأب القمص ثاؤفيلس السرياني، أسقفاً ورئيساً لدير السريان، بيد صاحب القداسة البابا الأنبا يوساب الثاني وذلك في ٢٥ يوليو عام ١٩٤٨م، باسم صاحب النيافة الأنبا ثاؤفيلس.

ويعتبر الأنبا ثاؤفيلس أول رئيس لدير السريان في رتبة الأسقفية، فقد كان رؤساء الدير السابقون له في رتبة القمصية فقط، ومن الملاحظ أيضاً أنه عند رسامته أسقفاً، كان هو الأسقف الوحيد في المجمع المقدس وفي الكرازة كلها الذي تخرج من دير السريان العامر آنذاك.

(١٣) اهتمامه بالدير وتعميره له:

ما أن تمت رسامة الأنبا ثاؤفيلس أسقفاً ورئيساً لدير السريان العامر، حتى ظهرت علامات أبوته ومحبته للآباء الرهبان، وأشرق عليهم بنور فضائله العديدة.

وبدأت شرارة الانطلاق نحو تعمير الدير رهبانياً وعمرانياً وروحياً. ووفاء منه لرئيس الدير السابق له (المتنيح القمص فلتاؤس السرياني)، قام برهبنة أول راهب باسم الراهب فلتاؤس السرياني (وهو حالياً القمص فلتاؤس السرياني أطال الله حياته)، ورسم معه الراهب ميخائيل السرياني (وهو حالياً القمص

ميخائيل السرياني أطال الله حياته)، وبعد رسامتهما بيومين فقط قام برسامة الراهب أرمانيوس السرياني (المتنيح الراهب القمص أرمانيوس السرياني) [3].

وهكذا بدأ دير السريان حقبة جديدة من تاريخه الحافل بالأمجاد، على يدى الأب الفاضل المتنيح الحبر الجليل نيافة الأنبا ثاؤفيلس.

[3] أصدرنا كتاباً عنه بعنوان " راهب ناسك ".



الفصل الأول: فضائله

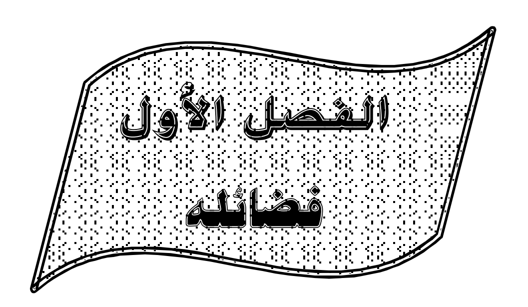
الفصل الثانى: مبادئه وتعاليمه

أولاً: المبادىء التي أرساها نيافة الأنبا ثاؤفيلس

ثانياً: كان معلماً وقدوة حية لأولاده الرهبان

ثالثاً: أبوته وغيرته على أولاده الرهبان

رابعاً: بعض أقوال لنيافته



أولاً: البساطة والاتضاع.
ثانياً: طول الروح.
ثالثاً: فضيلة النسك.
رابعاً: فضيلة العطاء.
خامساً: فراسته وذكاءه.
سادساً: محبته وعنايته بكل راهب وبالكثيرين.
سابعاً: محبته وإخلاصه للدير.
ثامناً: أمانته.
تاسعاً: وفاؤه لسابقيه.
عاشراً: فضيلة إنكار الذات.
حادى عشر: احترامه للآخرين.
ثانى عشر: طيبة القلب.

فضائله

مقدمة :

مثل الشجرة الجيدة الكثيرة الثمار، مما يدل على ثباتها في الأرض الجيدة، وحصولها على الغذاء وارتوائها بالمياه الوفيرة، هكذا تزينت حياة الأنبا ثاؤفيلس بفضائل رهبانية متعددة، مما يدل على صدق حياته الروحية مع الله، وتمتعه بعشرة قوية مع مخلصه، وشبعه وارتوائه الروحي الفياض.

حقاً إن التحدث عن الفضيلة شيء، وممارسة الفضيلة شيء آخر، كما قال القديس ساروفيم ساروفيسكي " إن مَنْ يعظ الآخرين، يشبه إنساناً يُلقي أحجاراً من فوق جبل، وأما مَنْ يحيا وينفذ الوصايا، يشبه إنساناً يحمل الأحجار ويصعد بها فوق الجبل ".

لقد كان المتنيح الأنبا ثاؤفيلس يعمل قبلما يُعلِّم " وأما مَنْ عمل وعلَّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات " (مت ٥ : ١٩)، فلقد شعر بالمسئولية الملقاة على عاتقه كأب وراع مسئول عن حياة أولاده ورعيته الرهبان، لكي يأخذهم بأيديهم ويوصلهم إلى الملكوت.

لقد عاش قدوة بين أبنائه الرهبان، فحينما يريد أن يعلمهم

المحبة، كان هو يعيش بمحبة للجميع، فكنت تشعر بمحبته الفياضة.

وحينما كان يريد أن يعلمهم النسك، كان يعيش في حياته حياة النسك، فكنت تشعر تلقائياً بنسكه.

وهكذا في كل فضائله، كان من السهل أن يشعر بها كل من كان بقربه، نعم لقد كان معلماً بارعاً لأولاده الرهبان، فتأثروا هم — بدورهم — بحياته وسلوكه، وساروا على درب تعاليمه، فأصبحوا بحق كواكب مضيئة في وسط ظلام هذا العالم، وظهرت فضائلهم على مر السنين والأيام.

وإليك بعض الفضائل التي تزينت بها حياة الأنبا ثاؤفيلس

أولاً : البساطة ... والاتضاع

تميزت حياة المتنيح الأنبا ثاؤفيلس بفضيلتي الاتضاع والبساطة، فقد كان بسيطاً في ملابسه وفي سلوكه وفي حديثه، لا يحب المغالاة أو الظهور بمظهر فخم.

لدرجة أن مَنْ كان يقابله سواء في الدير، أو في مقر الدير بالقاهرة (العزباوية)، لم يكن يتصور أو يظن أنه أمام رئيس الدير، فلم تكن ملابسه البسيطة توحي بهذا، ولم يكن هو يلفت الانتباه أنه رئيس الدير، فكان عامة الشعب يدخلون للزيارة، ويسلمون على نيافته طالبين صلواته كأب راهب بسيط قائلين له

" صلِّ لأجلنا يا أبونا "، فكان يصلى لهـم ويبـاركهم دون أن يوضح أنه أسقف أو رئيس للدير، ولم يكن يعطى فرصة لأحـد الآباء الرهبان أن يُعلن هذه الحقيقة لعامـة الـشعب الـذين لا يعرفون نيافته، فلقد كان يتمتع بالبساطة والاتـضاع وإنكـار الذات، وكثيراً ما كان يجلس على الأرض في أي مكان دون أن يعطى اعتباراً لمكانته ورتبته الجليلة، ومن القصص الـتي تُظهـر هذا، قصة حدثت مع أحد الآباء الكهنة وقصص أخرى:

يتحدث مع كاهن كأنه راهب بسيط:

حضر أحد الآباء الكهنة من إحدى الإيبارشيات، إلى مقـر الدير (العزباوية)، لينال البركة، ويُفضى بهمومه إلى القديـسة العذراء الأم الحنون، إذ كان هذا الأب مثقلاً بهمـوم عديـدة، وأهمها أنه على خلاف مع أسقف إيبارشيته الـتي يخـدم بهـا، ووجود مشاكل ومتاعب في حياته من هذه الناحية.

فبعدما صلى الأب الكاهن، وجد نيافة الأنبا ثاؤفيلس جالساً بملابسه البسيطة، فظنه راهباً من رهبان الدير، فجلس بجـواره يبث لديه همومه ويشكو له من أسقفه، فما كـان مـن الأنبـا ثاؤفيلس إلا أنه تظاهر كأنه راهب صغير وله مشكلة مع رئيس ديره، وكانت هذه حكمة من الأنبا ثاؤفيلس حتى يُقرّ الكـاهن بشكواه ويستريح من همومه، ثم أعطاه النصائح الأبوية داعياً إياه أن يحتمل لينال بركة فضيلة الاحتمال، فاستراح الأب الكـاهن

جداً من داخله إذ شعر أنه أمام أب عظيم روحاني يشاركه نفس ظروفه ويشجعه على حياة الفضيلة (الاحتمال بشكر) وهكذا ينمو في حياته الروحية بلا تذمر.

وبعد فترة من جلوسهما سوياً، فوجيء الكاهن بدخول أحد الآباء الرهبان، وأنه قام بعمل ميطانية للأنبا ثاؤفيلس وقبَّل يديه، واستفسر منه عن بعض الأمور داعياً إيّاه " سيدنا "، ففزع الأب الكاهن مسترجعاً ما قد حدث، رابطاً الأمور ببعضها، فتعجب ولم يعرف كيف يتصرف في هذا الموقف الحرج، فعمل ميطانية لسيدنا معتذراً عما صدر منه، فطمأنه نيافة الأنبا ثاؤفيلس وزوّده بالنصائح الأبوية، وعرَّفه ضرورة محبته لأسقفه والخـضوع لـه وطاعته، وكذلك تقبُّل الضيقات من يد الله بشكر وبلا تـذمر حتى ينال بركتها، ثم صرفه بسلام مستريحاً من همومه ومنتفعاً من النصائح والتعاليم الأبوية العملية.

معاملاته مع الآباء الرهبان:

كان الأنبا ثاؤفيلس متضعاً في معاملاته مع أولاده الرهبان، إذ قد كان يدعو أياً منهم باحترام، مهما كان صغيراً في الـسن أو حديثاً في الرهبنة، فقد كان يدعو كل أحد يا " أبونا فلان ".

كما كان يخجل أن يكلف راهباً بحمل شيء ما أو تنظيـف (كنس) مكان ما، بل كان يترك هذه الأعمال للإخوة طـالبي الرهبنة، وكان ذلك لاختبار اتضاع وطاعة الأخ الجديد، ومعرفة

أمانته في العمل وتدريبه على الاحتمال.

يطلب الحلّ من راهب كاهن :

على الرغم من أن الأنبا ثاؤفيلس هو الأب الكبير للدير، والأسقف الذي يمنح الحلّ للجميع، إلا أنه في اتضاعه كثيراً ما كان يطلب الحلّ من أحد أولاده الرهبان الكهنة، قائلاً له " حاللنى يا ابني حاللنى "، فكان الأب الكاهن يرد بسرعة قائلاً " من فمك الحلّ يا سيدنا ".

يمنح الحلّ في حالة مشكلة :

كان من عادة الأنبا ثاؤفيلس، أن أي أب راهب يقابله، ويطلب منه الحلّ قائلاً " حاللنى يا سيدنا "، كان يرد عليه بسرعة قائلاً " الله يحاللك يا ابني "، حتى لو طلب هذا الراهب حلاً بعد حدوث مشكلة.

وقد حدث ذات مرة أن أحد الآباء الرهبان تصرّف بأسلوب غير لائق مع نيافة الأنبا ثاؤفيلس، فتسبب هذا في مضايقته جداً لدرجة أنه صرفه قائلاً " الله لا يحاللك ". فلما انصرف الراهب إلى قلايته في ضيق شديد، لم يحتمل الأنبا ثاؤفيلس بقلبه الحنون أن يمر اليوم ويتركه هكذا مربوطاً، فأرسل بعد قليل أحد الآباء الرهبان إلى قلاية ذلك الراهب، قائلاً له " اذهب استدع أبونا

فلان لئلا يحدث له شيء "، فذهب وأحضره، فلما مثُل أمامه، قال له نيافة الأنبا ثاؤفيلس بدون مناقشة " الله يحاللك يا ابني روح "، وهكذا مضى الأب الراهب مستريحاً، مما يُظهر اتضاع وأبوة الأنبا ثاؤفيلس.

يعتذر لراهب :

يقول **قداسة البابا شنوده الثالث** (أطال الله حياته) في الكلمة التي قالها قداسته في قداس الأربعين لنياحة الأنبا ثاؤفيلس: " كان الأنبا ثاؤفيلس رجلاً كثير الاحتمال، وكان ممكن غيره يغضب ويثور، وهو في منتهي الهدوء، ولم يكن عنده مانع أن يعمل ميطانية لراهب "، وقد حدث في منتصف خمسينيات القرن العشرين، أن غضب أحد الرهبان من الأنبا ثاؤفيلس، وقرر ترك الدير إلى دير آخر أو مكان آخر، فلما وصل الخبر إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس بما عزم عليه هذا الراهب، قام نيافته بزيارته وقال له " أخطأت يا ابني "، فلم يستجب هذا الراهب، ورغم أن الأنبا ثاؤفيلس كرر له الاعتذار مرة أخرى، إلا أنه في عناد وتكبر رفض قبول الاعتذار، وخرج تاركاً الدير ذاهباً إلى مكان آخر.

يسمع كلمة منفعة من راهب :

حضر لزيارة دير السريان المتنيح الراهب القديس فليمون المقارى، وكان يتميز ببساطته ونقاوة قلبه وشفافيته، وقضى فترة في الدير.

ومن عادة الدير أنه في غروب اليوم، يضرب جرس مجمع، فيجتمع الآباء الرهبان للقيام بصلاة الغروب والنوم والستار، بقيادة رئيس الدير، فحدث حينما ضرب (دقَّ) جرس مجمع الغروب، أن اجتمع الآباء الرهبان كعادتهم للصلاة، وحضر الصلاة الأب الراهب فليمون المقارى.

فبعد انتهاء الصلاة، طلب الأنبا ثاؤفيلس، من الأب الراهب فليمون المقارى، أن يقول كلمة منفعة للآباء الرهبان، ولكن أبونا فليمون اعتذر أن يتحدث في حضور نيافته، ولكن الأنبا ثاؤفيلس ألح على قدسه، فقال كلمة موجزة ومملوءة بالمنفعة:

" ***يا أمهات، يا أمهات، ملكوت السموات عايز رجالة*** "، وشعر الجميع بالانتفاع من الكلمة البسيطة العميقة التي قالها أبونا فليمون المقارى، وهكذا لم يستنكف أو يستكبر الأنبا ثاؤفيلس من أن يسمع كلمة منفعة من راهب بسيط، وهو أسقف ورئيس دير.

وتحدث عن ذلك **قداسة البابا شنوده** في كلمته التي ألقاها في قداس الأربعين لنياحة الأنبا ثاؤفيلس قائلاً: " كان نيافته يحب العلم ويقرأ كثيراً، ولا يخجل من أن يسأل. كنت أذهب إلى الدير وأنا علمانى، فكان نيافته حينما يحتاج لمعرفة أي شيء يسألنى أمام الرهبان، دون أن يشعر بأي حرج ".

يركب الأتوبيس:

لم يهتم الأنبا ثاؤفيلس بالمظهر مطلقاً، ففي اتضاعه لم يقتن سيارة خاصة تخدمه في تنقلاته بين الدير والمقر بالقاهرة (العزباوية)، أو تنقلاته المختلفة إلى أي مكان كان يذهب إليه، واستمر هكذا حتى نياحته، على الرغم من توافر الإمكانيات لشراء سيارة خاصة.

وقد يتعجب القارىء عندما يعلم طريقة تنقلات الأنبا ثاؤفيلس، إن نيافته كان يستقل سيارة الدير (الچيب) حتى الرست هاوس، ومن هناك كان ينتظر الأتوبيس الصحراوى المتجه نحو القاهرة، وكان متفقاً مع السائق أن يوقف له السيارة حينما يراه، ويُخلى له المقعد الأمامى المجاور للسائق، فيجلس فيه نيافته.

ويذكر **قداسة البابا شنوده الثالث**، في الكلمة التي ألقاها في قداس الأربعين لنياحة الأنبا ثاؤفيلس، قصة سفر نيافته مع قداسته (وهو شاب علمانى يتردد على الدير في الخمسينيات من القرن العشرين)، فيقول قداسته:

" أتذكر أننى كنت في خلوة بالدير لمدة ثلاثة أيام، وعند رجوعى، سألنى نيافة الأنبا ثاؤفيلس قائلاً: (مسافر في إيه ؟)، فقلت له (في الأتوبيس الصحراوى)، فقال لى نيافته: (أنا مسافر معاك)، وسافرنا سوياً في الأتوبيس، وجلسنا متجاورين، وهو أسقف وأنا علمانى، وإذ بنيافته – في الأتوبيس – ينظر إلىَّ

ويقول: (ما هي إرشاداتك ونـــصائحك بعـــد الزيـــارة؟)، واستغربت أن أسقفاً يقول لإنسان علماني هذا الكلام!!.

فهكذا كانت طبيعته، كان إنساناً بسيطاً متواضعاً. واستطاع بهذه البساطة وبهذا التواضع، أن يجمع حوله مجموعة كبيرة مـــن المحبين. فكان كل مَنْ يذهب إلى مقر الدير (العزباوية) لينـــال بركة القديسة العذراء مريم، يجلس بجوار نيافة الأنبا ثـــاؤفيلس ليأخذ من بركته ومن معلوماته ".

يشترى { خرطوم مياه } ، ويحمله بنفسه :

قد تتعجب حينما تعلم أن الأنبا ثاؤفيلس كـــان إذا شـــعر باحتياج الدير إلى شيء ما، فإنه كان يقوم بشرائه بنفسه، فذات مرة احتاج الدير إلى خرطوم مياه، وطلبوا ذلك من نيافته، فلـــم يكلف أحداً بشراء الخرطوم.

والعجيب أنه بعد يومين نزل نيافته – كعادته – من الدير إلى القاهرة (مستقلاً الأتوبيس كما شرحنا آنفاً)، وبعدما نزل من الأتوبيس، سار على قدميه في شارع الجمهورية، حتى وصل إلى أحد المحلات وقام نيافته بكل اتضاع بشراء خرطوم الميـــاه، ولم يكلف أحداً بتوصيله إلى مقر الدير، بل لفَّه ووضـــعه في كـــم الفراجية، وظل حاملاً له حتى وصل إلى مقر الدير (العزباوية)، دون خجل أو استنكاف من ذلك، وكل هذه الأمور تدل على اتضاعه الحقيقي الغير متكلِّف أو مصطنع، وبساطته المتناهيـــة،

وحبه لديره ولأولاده الرهبان.

يرفض قيادة الصلاة :

قبل نياحة الأنبا ثاؤفيلس بشهرين، دُعىَ نيافته لحضور إكليل ابن أخيه (الدكتور صادق سعد صادق) في كنيـــسة الـــسيدة العذراء بالزمالك (المرعشلى)، وحضر الإكليل أيضاً نيافة الأنبا بيشوى مطران دمياط، ونيافة الأنبا فيلبس مطران الدقهلية، وعند بداية الصلاة، رفض نيافته أن يلبس الصَدرة ويقود الـــصلاة في حضور مطرانين لأن نيافته أسقف، رغم أنهما كليهما من أبنائه ولكنهما بسبب الأعمال الرعوية أخذا رتبة المطران، وقد حاولا مع نيافته أن يقود الصلاة ولكن نيافته أصر على الرفض قـــائلاً " أنتما مطرانان، وأنا أسقف "، ولكن أمام اتضاعه، ألحا عليـــه كثيراً لكي يقود الصلاة فخضع لطلبهما بعد إلحاح شديد.

ثانياً: طول الروح

إن طول الروح أو طول الأناة هي إحدى ثمار الروح القدس حينما يسكن بغنى في الإنسان الروحي، ولما كان الأنبا ثاؤفيلس روحانياً منذ حداثته، عمل فيه الروح القدس وأثمر فيـــه طـــول الأناة أو طول البال بدرجة كبيرة جداً، بل كانت هذه الفضيلة مصدراً ليتعلم منه أولاده الرهبان عملياً ووعظياً، إذ كان يقـــول لهم دائماً " طوِّلوا بالكم يا أبهات "، أو يقول " طول البال يـــا

أبهات "، أو يقول " طولة البال تهد الجبال ".

فبالإضافة لكونه مثالاً حياً في طول الأناة، كـــان يريـــد أن يغرسها في أولاده الرهبان بالوعظ والتذكرة في كل حين.

وهنا نذكر بعض القصص عن طول أناة الأنبا ثاؤفيلس:

احتماله لأحد الرهبان:

كان يوجد بالدير أحد الرهبان، وقد تم استخدامه من جهـــة معينة خارج مصر لتجميع أخبار الدير والكنيسة ونقلها إلـــيهم، فوصلت الشكوى من هذا الراهب إلى نيافة الأنبـــا ثـــاؤفيلس، وطُلب من نيافته استبعاد هذا الراهب وطرده من الدير.

ولكن الأنبا ثاؤفيلس في أبوة قال " هل أتركه خارج الـــدير للكلاب، الكلاب تأخذه وتأكله ؟، إنه ابني ومحسوب علـــيَّ "، ولم يُفرّط فيه بل احتضنه في أبوة وطول بـــال عجيـــب، إلى أن رجع الراهب عن خطئه وتاب عما كان يفعله.

طول باله واحتماله لأحد العمال:

يحتاج الدير إلى عمال فلاحين، لأجل الأعمال المختلفـــة في الدير، وقد يكونون بسطاء ربما بدرجة كبيرة، فمن ناحية الدير يُكمِّل أعماله، ومن ناحية أخرى يمنحهم مرتبات يكملون بهـــا احتياجات أسرهم الفقيرة.

وكان ضمن هؤلاء العمال شخص غير كامل عقلياً، لدرجة

أنه كان يعمل أي عمل يريده في أي وقت يريده أيضاً، وكـــان الأنبا ثاؤفيلس يعطف عليه مقدراً ظروفه المرضية.

كان ذلك العامل أحياناً يدخل بلا استئذان حجرة الرباتيـــة (التي بها الأب الربيتة أي أمين الدير)، وكـــان نيافـــة الأنبـــا ثاؤفيلس كثيراً ما يجلس في تلك الحجرة، فكان ذلـــك العامـــل يطلب من نيافته أي شيء، فيقوم نيافته ويعطيه إياه.

وذات مرة دخل إلى نيافته وطلب (علبة كبريت)، ثم أخذها وخرج، وعاد بعدها وطلب من نيافته (باكو شأي)، فأعطـــاه إياه فذهب، ثم أتى مرة ثالثة وطلب (كيلو سكر)، فقام نيافته وأعطاه إياه.

وفي هذه اللحظة ضجّ، الآباء الرهبان الجالسون مع سيدنا من ذلك العامل، وانتهروه بشدة ووبّخوه. لكن نيافة الأنبا ثاؤفيلس بكل طول بال احتمل العامل، وأعطاه احتياجاته وصرفه بسلام، ثم قال نيافته للآباء الرهبان " يا أبهات طوّلوا بالكم علشان ربنا يطوّل باله علينا ".

وكان هكذا في كل المواقف يُظهر نيافتـــه طـــول الأنـــاة، متصرفاً كقدوة عملية أمام أبنائه الرهبان، معلماً إياهم فـــضيلة الاحتمال وطول البال.

ثالثاً: فضيلة النسك

عاش نيافة الأنبا ثاؤفيلس قدوةً لأولاده أيضاً في حياة النسك، فكان ناسكاً في ملبسه، وفي طعامه وشرابه، وفي قلايته البسيطة التي عاش داخلها بنسك شديد، وهكذا شابه آباء القرون الأولى في نسكهم، وكان ذلك ليس نتيجة عوز أو عدم توفر للاحتياجات، بل عزوفاً عن المباهج الأرضية، حباً في فضيلة النسك، وسعياً نحو التمتع بالخيرات الآتية في الحياة الأبدية.

في ملبسه :

إن النفس التي تهتم بالبناء الداخلي، لا يهمها المظهر كثيراً، لأنها تتمتع بجمال داخلي ينبع من عشرتها مع الرب يسوع فلا يهمها جمال المظهر الخارجي.

هكذا عاش المتنيح الأنبا ثاؤفيلس، لا يهتم بمظهره أو نوعية ملابسه أو شكلها، بل كنت تراه مرتدياً جلباباً قديماً متهالكاً، وليس هذا فقط بل قصيراً وأحياناً يكون مملوءً بالرُقع (أي ممزق وتم توصيله بقطع قماش أخرى)، ولهذا السبب كما أوضحنا سابقاً كان البعض لا يعرف أنه رئيس الدير، بل يبدو في شكله كراهب فقير.

وكان من الملفت للنظر أيضاً أنه لم يكن يلبس جورباً في قدميه، إن لم يكن الجورب ممزقاً، ولهذا السبب كان بعض الآباء يشفقون على نيافته، ولكنهم في خجل يقومون بوضع زوجين من الجوارب أمام قلاية نيافته، وأما هو فكان بدوره حين يخرج

ويرى هذه الجوارب، كان يتساءل متعجباً عمن قام بوضعها أمام قلايته، ثم يقوم بتوزيعها على أحد الآباء الرهبان.

في طعامه وشرابه :

يقول سليمان الحكيم " النفس الشبعانة تدوس العسل " (أم ٢٧: ٧)، فحينما يشبع الإنسان داخلياً بالله، فإنه تلقائياً يجد نفسه عازفاً عن كل ما يُقدَّم إليه، وكلما ازداد الإنسان قرباً من الله، تجده ناسكاً بدرجة أكبر في طعامه وشرابه.

لقد كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس ناسكاً في طعامه وشرابه، فمن الأمور العادية والمتكررة أنك تجده يأكل " طبقاً من الفول " أو " المش "، وغير ذلك مما كانوا يُحضرون إليه.أما الأطعمة الجيدة، فكان يوزعها.

وأحياناً ولكي يُخفي فضيلة النسك، كان يسأل الراهب الذي يقوم بخدمته عن نوعية الطعام الذي تم توزيعه اليوم على الآباء الرهبان، ويقول له " أُمال فين يا ابني؟ " وكأنه يريد من تلك الأطعمة.

ومن الأمور الثابتة أيضاً لدى نيافته أنه لا يأكل أكثر من صنف، فإذا أحضر له الأب المكلّف بخدمته نوعين أو ثلاثة أنواع من الأطعمة، فإنه كان يقول له " طبق واحد بس " أي نوع واحد فقط من الطعام.

ويحكي لنا أحد الآباء عن قصة حدثت معه في الخمسينيات من القرن العشرين، حيث كان هذا الأب يعمل في مقر الدير بالقاهرة (العزباوية)، فحضر نيافة الأنبا ثاؤفيلس إلى المقر واصطحب هذا الأب معه إلى عزبة الدير بأتريس بالجيزة، فلما وصلوا هناك، كان في استقبالهم الأب الراهب المسئول عن عزبة الدير، واصطحبهم جميعاً إلى مائدة فخمة أعدها للترحيب بنيافة الأنبا ثاؤفيلس، وكان موضوعاً عليها أصنافاً عديدة من الأطعمة واللحوم (أوز، وبط، وحمام، وفراخ ... الخ) من جميع الأطعمة الشهية التي أعدها احتفاءً بالأنبا ثاؤفيلس.

وما أن جلسوا على المائدة، حتى شاهدوا الأنبا ثاؤفيلس يقوم بالصلاة أولاً ومباركة المائدة، ثم أخذ نيافته جزءاً بسيطاً جداً من اللحوم، ووضع أمامه طبق (المش) ليأكل منه فقط، ولم يمد يده ليأكل من باقي أنواع الأطعمة المختلفة مطلقاً، ولكي لا يخجل باقي الحاضرين من نيافته، كان يأخذ من الأطعمة المختلفة ويضع أمامهم ليأكلوا بلا حرج من نيافته، أما نيافته فاكتفي بالقليل والبسيط من الطعام، وحاولوا معه أن يأكل نيافته من بقية الأطعمة لكن نيافته رفض بشدة.

قلايته :

لقد عاش الأنبا ثاؤفيلس كراهب مبتدىء بسيط في قلايته، بل بنسك وتقشف بدرجة أكبر، فسواء قلايته التي كان يقطنها

بالدير أو قلايته بمقر الدير (بالعزباوية)، كانت غاية في البساطة والتقشف فلم يكن فيها دولاب لترتيب ملابسه بداخله، وكنت تتعجب حينما تراه يضع ملابسه في كراتين فوق بعضها البعض في ركن من أركان القلاية.

ولم يكن يهتم بنظافة قلايته – كنوع من النسك – بل لم يسمح لأحد أن ينظفها، وكذلك لم يهتم بنظافة وترتيب مرقده الذي كان ينام عليه.

وقد شهدت على نسكه إحدى السائحات اليونانيات، كانت قد حضرت لزيارة مقر الدير بالعزباوية، وعندما دخل الأنبا ثاؤفيلس إلى قلايته لقضاء بعض المتطلبات، رأت قلايته أثناء دخوله وخروجه، فتعجبت تلك السائحة اليونانية وقالت بلهجة عربية ضعيفة (دى كرار، دى لخبطة مع بعضها).

ولم تعرف قلاية الأنبا ثاؤفيلس النظافة والنظام والترتيب إلا في الفترة الأخيرة من حياته (أثناء مرضه) أي قبل نياحته بثلاث سنوات فقط، حيث قام الآباء بتنظيفها وترتيب مرقد نيافته وتنظيفه، ولولا مرض نيافته لظلت كما هي.

كذلك كان الأنبا ثاؤفيلس رافضاً تركيب سخان كهربى في الحمام، وظل طوال حياته يستخدم صفيحة لتسخين المياه على

موقد الكيروسين (وابور الجاز)، وكان بسيطاً جداً في الأدوات التي كان يستخدمها داخل قلايته (جردل، كوز، كرسي حمَّام... الخ)، وقبل نياحته بقليل قام الأب الربيتة (أمين الدير) بتركيب سخان كهربي في حمام قلاية نيافته، فتضايق نيافته من ذلك وعبّر عنه قائلاً (دى مش قلايتى).

وأيضاً كان في إضاءة قلايته يستخدم اللمبة الجاز، حيث أن الكهرباء لم تكن قد دخلت الدير، وماكينة توليد الكهرباء كانت لا تعمل إلا ثلاث ساعات فقط بعد الغروب.

لم يمتلك سيارة:

من مظاهر نُسك الأنبا ثاؤفيلس أيضاً، أنه لم يمتلك سيارة خاصة به طوال حياته، رغم ما كان لديه من إمكانيات كبيرة تتيح له امتلاك سيارة خاصة.

إذ كما ذكرنا سابقاً كان يسافر مستقلاً الأتوبيس الصحراوي، وفي تحركاته المختلفة كان يستخدم سيارات الأجرة (التاكسي) العادية.

وعجباً أن الكثيرين من أولاده صاروا أساقفة، وأصبحوا يمتلكون سيارات خاصة فخمة، أما هو فلم يغير أسلوبه النسكي طوال حياته، فلم يمتلك شيئاً.

الزهد في المال:

عاش أيضاً نيافة الأنبا ثاؤفيلس زاهداً في المال، حتى أنه لم يكن يسمح بوضع صناديق لجمع التبرعات في مداخل الكنائس بالدير، إلا في الثمانينيات من القرن العشرين، عندما ألح عليه بعض أولاده الرهبان في ذلك وحاولوا إقناع نيافته بضرورة وضع صناديق جمع التبرعات فوافق رأيهم مؤخراً.

وفي العديد من المرات حينما كان يقدم إلى نيافته أحد الزوار أية مبالغ مالية كان نيافته يرفض قبولها قائلاً " إحنا يا ابني مش عايزين حاجة "، ثم بعد وضع الصناديق كان يقول " ضع التبرعات في الصندوق "، ولم يقبل نيافته أية مبالغ مالية في يده من أي أحد، حتى لا يشعر الشخص أنه تجمَّل على نيافته.

وسنسرد قصتين توضحان أن نيافته لم يكن يحب أن يشعر المتبرعون بالمال بأن لهم فضل على الدير من أي ناحية.

يريد أن يرد العطايا لأحد الزوار:

ذات مرة أحضر أحد الزوار بعض العطايا للدير، وسلمها للأب الذي يستقبل الزوار على باب الدير الأثري، ثم دخل وزار الدير، وبعد ذلك توجه لأخذ بركة نيافة الأنبا ثاؤفيلس، وفي نوع من الفخر أو التباهي قال لنيافته " نحن أحضرنا كذا وكذا للدير "، منتظراً أن يسمع كلمة شكر أو مديح من نيافة الأنبا ثاؤفيلس، ليغذّى بها ذاته.

ولكن نيافة الأنبا ثاؤفيلس غيَّر الحديث، وبدأ يكلمه في موضوع آخر، وتجاهل موضوع العطايا. فبعد قليل كرر ذلك الشخص ما قاله سابقاً على مسامع الأنبا ثاؤفيلس، وتجاهل نيافته الموضوع مرة أخرى، فلم يصمت الشخص بل حاول محاولة ثالثة لفت نظر نيافة الأنبا ثاؤفيلس، وهنا قام نيافته بتوجيه الحديث مباشرة إلى أحد الآباء الرهبان قائلاً له " يا ابني أنت محتاج إلى كذا وكذا "، فأجاب الأب الراهب بالنفي. فنظر نيافة الأنبا ثاؤفيلس إلى الشخص المعطى قائلاً له " يابني خذ الحاجات اللى جبتها .. احنا مش عايزين حاجة " ثم استطرد قائلاً له " اللى بيعطى حاجة بيعطيها لربنا ".

فانصرف الرجل منتفعاً من التعليم العملى للأنبا ثاؤفيلس، وتعلم ألا يعلن لأحد ما أحضره للدير، إنما يقدمه في الخفاء لأنه يقدمه لله، فسيأخذ أجره من الله.

يريد أن يدفع أجرة إصلاح السيارة:

ذات مرة ذهب سائق السيارة الخاصة بالدير إلى إحدى الورش، لإصلاح كهرباء السيارة، فلما علم صاحب الورشة أن السيارة خاصة بالدير، لم يشأ أن يأخذ أجرة التصليح وكانت ثمانين جنيهاً.

وبعد أسبوع حضر صاحب الورشة لزيارة الدير في يوم الأحد، وأراد أن يأخذ بركة سيدنا الأنبا ثاؤفيلس، وأخبر الأب

المسئول عن استقبال الزوار بذلك، وأعلمه أنه صاحب الورشة التي قامت بإصلاح كهرباء سيارة الدير.

فدخل الأب الراهب إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس وأخبره بذلك، فرد بصوت عال لكي يسمعه الرجل وهو واقف بالخارج، قائلاً للأب الراهب " أعطه الثمانين جنيهاً واصرفه بسلام"، فانتبه الرجل ورد من الخارج قائلاً " ثمانين جنيه إيه يا سيدنا، احنا عايزين نأخذ بركة نيافتك " فسمح له بالدخول وسلم على نيافته وأخذ بركته، وانصرف متعلماً أنه لا يجب أن يتحدث أو يفتخر بما يقدمه لخدمة الدير.

رابعاً: فضيلة العطاء

على الرغم من أن الأنبا ثاؤفيلس كان يظهر كثيراً – سواء أمام الرهبان أو أمام العلمانيين – أنه لا يملك شيئاً يعطيه لأحد، إلا أنه كان يعول أسراً كثيرة في الخفاء، دون أن يشعر به أو يعلم به أحد من الناس، ولكن كل هذا عُرف فيما بعد.

وفضيلة العطاء تدرجت في حياة نيافته منذ بدايتها، فقد غُرست فيه منذ صغره، ونمت وترعرعت في شبابه، وتجلت في تقديمه حياته – وهي أفضل وأغلى ما يملك – عروساً للسيد المسيح (خلال رهبنته)، وزادت فضيلة العطاء وتأصلت أثناء حياته الرهبانية.

ولا ننسى ما ذكرناه سابقاً عما حدث أثناء رئاسته للدير وهو قمص، بخصوص ما أشادت به جريدة الوطنية من اهتمام القمص ثاؤفيلس السرياني رئيس دير السريان، وعطفه على والدة المتنيح الأنبا باسيليوس مطران الأقصر (خلال عامى ١٩٤٧، ١٩٤٨م).

ثم صارت فضيلة العطاء شجرة كبيرة في حياته بعدما رُسم أسقفاً، حيث أصبح لديه إمكانيات أكثر، ولكنه كان يحرص أن يكون عطاؤه في الخفاء، ويظهر كما ذكرنا في فضيلة النسك الخاصة بنيافته كأنه لا يملك شيئاً، وبقدر ما أخفي نيافته فضيلة العطاء بقدر ما أظهرها الله.

وسوف نخصص فصلاً عن اهتمام نيافته وعطائه بلا حدود لبعض الأديرة، التي كانت آنذاك في حالة احتياج شديد (مثل ديرَىْ الأنبا بيشوى ومار مينا).

وقد أطلق البعض على نيافة الأنبا ثاؤفيلس " أبو الذهب " لما لاحظوه من عطاء نيافته الذي بلا حدود.

وها هي بعض الأمثلة للعطاء:

عطاؤه واهتمامه بالقمص عبد المسيح الحبشى:

يشتاق الآباء الرهبان الأحباش أن يعيشوا في كل مكان عاش فيه السيد المسيح له المجد، ويحاول البعض منهم تحقيق ذلك في

قرب نهاية حياتهم، يأتون أولاً إلى مصر التي زارها السيد المسيح وعاش فيها وهو هارب من هيرودس (متى ٢)، ثم يذهبون للقدس بأورشليم ويكملون بقية حياتهم هناك.

والأب عبد المسيح الحبشى من الآباء الأبرار جداً الذين جاءوا إلى مصر، فقد أتى وعاش في برية شيهيت بالقرب من دير البرموس، في مغارة ليس لها باب، وعاش حياة فاضلة وأثّر في الكثيرين من الرهبان والعلمانيين.

وكان نيافة الأنبا ثاؤفيلس يهتم بقدسه ويقدِّم له بعض الاحتياجات من غذاء وكساء، فنجد نيافته يقدم لقدسه الكسوة السنوية مثلما يعطى لرهبان ديره تماماً، كأنه واحد منهم.

وقد ذكر ذلك مؤلف كتاب سيرة ومعجزات الأب عبد المسيح الحبشى في كتابه ص٣٥ قائلاً " كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف ورئيس دير السريان، يقوم بإهداء الأب عبد المسيح الحبشى كسوة سنوية، وفي أغلب الأحيان كان أبونا عبد المسيح يتصدَّق بالجديد ويكتفي بالملابس القديمة ".

عطاؤه للفقراء والمحتاجين:

قد ذكرنا أن نيافة الأنبا ثاؤفيلس كانت لديه فضيلة العطاء، ويحب أن يُعطى في الخفاء، ولكن رغم محاولاته لإخفاء عطائه وعطفه على الفقراء والمحتاجين، إلا أن الكثير من الآباء الرهبان

والإخوة العلمانيين المقربين من نيافته، لاحظوا محبته للعطاء للمحتاجين.

كما أنه كان يضع بعض النقود (الفكة) في جيوب جلبابه قبلما يخرج من قلايته، حتى إذا قابله البعض طالبين بركة من نيافته، يعطيهم في الحال، فلقد حرص نيافته على إعطاء الصدقة لكل من يسأله، بحسب تعليم ووصايا السيد المسيح له المجد.

عطفه على الشباب ومساعدتهم في مصاريف الدراسة :

نظراً لما عُرف عن نيافة الأنبا ثاؤفيلس من حبه للعطاء في الخفاء، التجأ إلى نيافته العديد من الشباب الراغبين في استكمال دراستهم في الجامعة، وظروف أسرهم المادية لا تسمح بذلك، فساهم نيافته بمحبته وعطفه في مصاريف الدراسة الجامعية لأولئك الشباب، حتى تخرج منهم الطبيب والمهندس والمدرس... إلخ.

وقد أشادت بعض المجلات المسيحية (مجلة الكرازة)، بالدور الذي قام به نيافة الأنبا ثاؤفيلس في مساعدة بعض الشباب لاستكمال دراستهم الجامعية، حيث أن البعض منهم كانوا عمالاً في زراعات الدير وأشغاله المختلفة، وباهتمام نيافته ومساعدته لهم حصلوا على شهادات علمية معقولة وجامعية أحياناً.

وقد نوه أيضاً **قداسة البابا شنوده الثالث** إلى ذلك، فيما كتبه قداسته في " مجلة الكرازة " عند نياحة الأنبا ثاؤفيلس، قائلاً: " وعطف نيافته على العديد من الشباب ".

خامساً: فراسته وذكاؤه

من الصفات التي تمتع بها الأنبا ثاؤفيلس " الفراسة والذكاء " حباه الله بهما بدرجة نادرة الوجود، وظهرت فيه هذه الصفات منذ صغره، فكما ذكرنا سابقاً أنه كان ذكياً متفوقاً في دراسته، ثم بعد ذلك كان نشيطاً متقدماً في عمله منذ حداثته.

وبعدما ترهب نيافته وعاش في الدير سنوات عديدة، وتقلد رئاسة الدير، اكتسب خبرة وحنكة مع مرور الأيام والسنين، وزادت فراسته وذكاؤه، فتكونت لديه معرفة شاملة وعميقة في أمور عديدة:

في الأمور الروحية :

كان من الطبيعي في نيافته، أن يستغل المواهب التي منحه الله إياها، في الاتجاه الرئيسى لحياته، ألا وهو علاقته مع الله، فنشأت نتيجة لذلك سعة أفق في الأمور الروحية لدى نيافته، وحكمة سماوية فائقة الوصف.

الكتب ومكتبة الدير :

كانت من علامات فراسته وذكائه، درايته الواسعة بالكتب الروحية، وحفظه لسيرَ عدد كبير جداً من الآباء القديسين، كما كان حافظاً أسماء الكتب التي في مكتبة الدير الاستعارية بل وأماكن حفظها بالمكتبة، ومحتوى كل كتاب منها.

وأحياناً كثيرة كان نيافته يطلب من المشرف على المكتبة الاستعارية للدير، أن يُحضر لنيافته كتاباً معيناً، فإن نيافته كان يحدد للأب الراهب المسئول، مكان حفظ الكتاب (في الدولاب الفلانى) واسم الكتاب، بل ولون غلافه، وهكذا بكل دقة كان يصف الكتاب.

وقد **قال قداسة البابا شنوده الثالث** في كلمته التي ألقاها في قداس الأربعين لنياحة الأنبا ثاؤفيلس: " كان نيافته خزانة معلومات، وذاكرته قوية جداً، وقد تعب بعض الشيء في مرضه الأخير، ولكنه عاد مرة أخرى إلى قوة الذاكرة كأنه لم يمرض ".

المعلومات المختلفة:

كذلك كانت لنيافته دراية واسعة بمحافظات وقرى القطر المصرى بأكمله، وكان نيافته يعرف الكثير من الأشخاص الموجودين بكل قرية ومدينة بجميع البلاد.

ذكر عنه **قداسة البابا شنوده الثالث** في الكلمة التي ألقاها قداسته في قداس الأربعين لنياحة الأنبا ثاؤفيلس قائلاً: " كان

الأنبا ثاؤفيلس يتمتع بذاكرة قوية جداً، فيحكي أخباراً لا حصر لها عن كل بلد وعن كل شخص وعن كل العصور التي عاصرها نيافته، كإنسان عاش ٦٤ سنة في الرهبنة، وعاصر بطاركة وأساقفة كثيرين ".

النظرة المستقبلية البعيدة:

تميز نيافة الأنبا ثاؤفيلس بنظرته المستقبلية البعيدة، وحكمته في معالجة الأمور، كل هذا أظهر ذكاءه وفراسته، فكان سابقاً لجيله في التفكير، وكان حكمه في الأمور، لا يُدرك الناس عمقه وصحته وكفاءته إلا بعد زمن بعيد.

ومثال ذلك، حينما قام نيافته ببناء عمارة جديدة للقلالى داخل الدير الأثرى، في الستينيات من القرن العشرين، ليسكن فيها الرهبان الذين زاد عددهم عما قبل، فقد كان نيافته عازماً على تصميم بناء القلالى بطريقة مريحة لكل راهب، وتساعده على الجلوس في القلاية لفترات طويلة إذا أراد، وذلك بإضافة دورة مياه لكل قلاية، ولكن لظروف معينة لم يتم عمل ذلك آنئذ.

وهذا الفكر قد تداركته وقامت بتنفيذه أجيالنا الحالية منذ بداية التسعينيات للقرن العشرين.

اختياره لطالبى الرهبنة :

كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس يتميز بذكاء وفراسة نادرة، في اختيار نيافته للمقبلين على الرهبنة، فكان نيافته يقوم بسؤال الأخ سؤالاً معيناً، ويكرره عدة مرات، وأثناء إجابة الأخ على السؤال، كان نيافته ينظر إلى وجه الأخ، ويتعرف من خلال ردوده وكلامه ونظراته وملامحه وحركاته وشكله وسلوكه، يتعرف على صفات الأخ وهل يصلح للرهبنة أم لا، وكان يكشف ذلك الشخص إذا كان (طيباً، أو ملتزماً، أو ذكيا، أو لئيماً، أو خبيثاً، أو ... إلخ). والقصة التالية تكشف ذلك كمثال:

في إحدى السنوات، حضر أحد الآباء الأساقفة- الذين تخرجوا من دير السريان – إلى الدير لقضاء أسبوع الآلام في الدير، وكان يرافق نيافته أخ يرغب في دخول الدير ليترهب به.

وفي أثناء فترة ما بين (البصخات)، كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس جالساً في حجرة الرباتية (حجرة أمين الدير)، فدخل إليه الأب الأسقف الزائر ليسلم على نيافته، بينما انتظر الأخ الضيف خارجاً.

فتحدث الأب الأسقف مع نيافة الأنبا ثاؤفيلس، عن الشاب وصفاته الحسنة، وأنه يريد التقدم للرهبنة بدير السريان، وأعلن له

الأسقف أنه يعرف الشاب وعائلته، وأسهب في مدحهم.

فطلب منه الأنبا ثاؤفيلس أن يستدعى الشاب، فاستدعاه، فدخل وعمل ميطانية وقبَّل يد الأنبا ثاؤفيلس ووقف أمام نيافته، فبادره نيافة الأنبا ثاؤفيلس بسؤال مفاجىء قائلاً " هل أنت بروتستانتى؟! " فأجابه الشاب " لا يا سيدنا "، فأكمل نيافته قائلاً " لكن أنت أبوك بروتستانتى "، فأجاب الشاب " نعم يا سيدنا "، فقال له نيافة الأنبا ثاؤفيلس " روح يا ابني، أنت ما تنفعش في الرهبنة "، فانصرف الشاب خارجاً.

وظل الأب الأسقف جالساً، وبدت عليه علامات التعجب والذهول، وقال لنيافة الأنبا ثاؤفيلس " كيف عرفت يا سيدنا أن والده بروتستانتى ؟! وكيف اكتشفت نيافتك – في مقابلة واحدة مع الشاب، استغرقت دقائق – أنه لا يصلح للرهبنة؟! ".

ثم استطرد الأب الأسقف قائلاً في تعجب " إننى خدمت هذه الأسرة سنوات عديدة، وافتقدهم في مترلهم – وكانت لى معرفة كبيرة بحياهم، ولكننى لم أعرف أبداً أن أبا الشاب بروتستانتى ".

ثم قبَّل يدى نيافة الأنبا ثاؤفيلس، واعتذر عما حدث، ثم مضى وهو متعجب من ذكاء نيافته وفراسته.

تعامله مع الآباءِ الرهبان والإخوة طالبى الرهبنة :

كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس يتعامل بمحبة مع الآباء والإخوة،

ولكن ذكاءه وفراسته كانا يظهران بصورة واضحة جداً.

ففي اختباراته للإخوة – طالبي الرهبنة – تجده يقدِّم اختباراً مختلفاً لكل أخ لكي يكتشف من خلاله ثبات الأخ وصلاحيته للرهبنة. ومن الجدير بالذكر أنك لو تحدثت مع أي أب راهب في دير السريان، الذين عاصروا نيافة الأنبا ثاؤفيلس، تجد لكل منهم قصة مختلفة عن الآخر مع نيافته.

ويظهر ذكاء نيافته وفراسته أيضاً، عندما كان يدخل إلى نيافته أي أب راهب وله طلب ما، فكان نيافة الأنبا ثاؤفيلس بمجرد نظره إلى وجه الراهب، يقرأ ملامحه ويعرف طلبه قبلما يخبره الأب الراهب عنه.

سادساً: محبته وعنايته بكل راهب وبالكثيرين:

كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس يتميز بالمحبة لكل الناس، وقد ذكر عنه **قداسة البابا شنوده الثالث** – في الكلمة التي ألقاها في قداس الأربعين لنياحة الأنبا ثاؤفيلس – قائلاً: " كان نيافته يحب الناس، وكثيرون من الناس كانوا يزورونه، وكان يعرفهم بأسمائهم، يعرف ظروفهم ومشاكلهم وأخبارهم، ويتحاور ويتجاوب معهم، لقد كان نيافته إنساناً عشرياً واجتماعياً، محباً للناس بطبيعته، والناس يحبونه أيضاً ".

وكان نيافة الأنبا ثاؤفيلس يحب أولاده الرهبان بإفراز، كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم " حب بلا تدليل "، لقد كانت

محبته لهم محبة أبوية، إذ أن نيافته كان يمر على أولاده الرهبان في قلاليهم، ليطمئن عليهم وعلى حياتهم الروحية، فكان يسأل البعض عما يقرأه، ثم يقدم لهم النصائح في صورة قصة أو رواية، وبعد أن يطمئن عليه ينصرف بسلام.

وكان نيافته يهتم بالحياة الروحية لأولاده الرهبان أكثر من تأدية الأعمال في الدير، فإذا رأى نيافته راهباً مهتماً بالعمل بدرجة كبيرة زائدة، أكثر من اهتمامه بالجلوس في القلاية والنمو الروحي، كان نيافته يحثه على الانتباه لحياته الروحية قائلاً له " يا ابني روح شوف لك مزمور تصليه، أو اقرأ لك كتاباً ينفعك ".

كذلك إذا اكتشف نيافته أن راهباً من أولاده لديه موهبة البحث والدراسة، كان نيافته يهيء له الوقت والمكان المناسب لأجل الدراسة والبحث، فكان يُحضر له مكتباً، ويشترى له الكتب والمراجع التي تساعده في البحث.

ومن مظاهر محبة نيافته لأولاده الرهبان، أنه كان بعد القداس الإلهي يوم الأحد الذي يرأسه نيافته في حضور مجمع الآباء الرهبان، كان يسأل عن أي راهب غائب ليطمئن عليه، وأحياناً كان يأخذ مجموعة من الآباء الرهبان لزيارة المتغيب قائلاً " تعالوا نزور أبونا فلان، نشوف مجاش ليه النهارده "، وبعدما يطمئن عليه، كان نيافته ينصرف بسلام.

وسنذكر بعض المواقف التي تُظهر أبوة الأنبا ثاؤفيلس، ومحبته لأولاده الرهبان:

بعد قداس العيد:

في ليلة أحد الأعياد، لاحظ نيافة الأنبا ثاؤفيلس – في قداس العيد – أن واحداً من الآباء الرهبان لم يحضر قداس العيد، وكان هذا الأب الراهب سابقاً قد تصرف بعض التصرفات التي جعلت الأنبا ثاؤفيلس يغضب ويضغط عليه.

ولكن في حنان الأب، خرج الأنبا ثاؤفيلس بعد القداس مباشرةً من باب الكنيسة، وأخذ ينادى بصوت عال " يا أبونا فلان .. مالك .. عيّان ولا إيه ؟ ".

فلما سمع أبونا صوت نيافته، خرج بسرعة من قلايته، وذهب إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس طالباً الحل، فقال له نيافته " تعال يا ابني نتعشى .. "، وجلسا معاً على مائدة العشاء، وكأن شيئاً لم يحدث، وهكذا انتهت المشكلة بسلام، بل ومن محبة نيافته أنه أمر الراهب المكلف بخدمته أن يُحضر طعاماً خاصاً لهذا الأب الراهب كان يحبه.

وهكذا نرى محبته وصفحه، فلم يحتمل أن تمر ليلة العيد وذلك الأب في ضيق.

يهتم براهب يمر بضيقة:

مر أحد الآباء الرهبان بضيقة ما، فأرسله نيافة الأنبا ثاؤفيلس إلى عزبة الدير في أتريس بالجيزة، ليقضى هناك فترة يغير فيها الأجواء المحيطة، كمنفّس له في ضيقته.

وشعر نيافته بعدما أرسل هذا الأب الراهب بمفرده، نقول شعر بقلق عليه، فقام نيافته في صباح اليوم التالي بالذهاب إلى العزبة وقضى معه أسبوعين بالعزبة، وبعد أن هدأت نفسيته أخذه وعاد به إلى العزباوية (مقر الدير) ثم إلى الدير.

يُعزّى راهب بمزمور:

كان أحد الآباء الرهبان منتدباً لقضاء فترة خدمة بإحدى الكنائس في العالم، ولأسباب معينة عاد هذا الأب إلى الدير، وكان في حالة ضيق.

فبعد رجوعه بأيام قليلة، ذهب إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس في قلايته ليأخذ بركته، فدعاه نيافته للجلوس، ثم بدأ يحدثه ويطمئن عليه، ثم أخذ يعزيه بكلام الكتاب المقدس، مستخدماً أحد المزامير التي تمس الضيقة التي يمر بها الراهب، وكلما يقرأ نيافته جزءاً من المزمور، كان ينظر للراهب في صمت، وكأن نيافته يريد أن يقول له شيئاً أو يعلمه درساً، وبعد ذلك امتلأ الأب الراهب بالتعزية والفرح، فاستأذن من نيافته وانصرف مستريحاً.

يطمئن على أحد الرهبان:

كان أحد الآباء الرهبان في خدمة في إحدى كنائس العالم، ثم عاد إلى الدير واستقر في قلايته بالدير، فبعد بضعة أيام من رجوعه من الخدمة، انشغل عليه نيافة الأنبا ثاؤفيلس، وأحب أن يطمئن عليه وهل هو مرتاح أم متضايق بعد عودته إلى الدير.

فذهب نيافته إليه في قلايته، بعد انتهاء صلوات التسبحة، وطرق بابه، ففتح الأب الراهب وعمل ميطانية وقبَّل يدى نيافته، فقال له نيافة الأنبا ثاؤفيلس " تعال يا ابني نقِّى النجيل من الأرض "، فقال له الأب الراهب " يا سيدنا هو الراهب معندوش مزامير يصليها، ولا إنجيل يقرأه ".

ومن هذه الإجابة اطمأن نيافته على الراهب أنه متعز ويُصلى ويقرأ في الكتاب المقدس، فقال له نيافته " طب يا ابني خلاص، خليك في قلايتك ". وانصرف نيافته بعدما اطمأن عليه، وتأكد أنه غير متضايق بل متعزى ومرتاح في قلايته.

خرج يبحث عن راهب:

حدث في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، أن خرج أحد رهبان دير السريان من الدير، فلما وصل الخبر إلى الأنبا ثاؤفيلس، وكانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية ظهراً، وكان الحر شديداً.

ففي أبوته الحانية، أشفق نيافته على ابنه الخارج من ديره،

فأسرع خارجاً خلفه ليبحث عنه، وكانت وسائل المواصلات قليلة جداً آنذاك، فلحقه نيافته عند المفصل أو المفارق (على بعد ٣ كم من الدير).

فأوقفه نيافته وأخذ يحثه على الرجوع معه إلى الدير، ولكن ذلك الراهب صمم ألا يعود مرة أخرى إلى الدير، ورغم المحاولات العديدة التي بذلها معه نيافة الأنبا ثاؤفيلس لإقناعه بالعدول عما ينوى عليه، لكن الراهب في عناد وتجبر أصرّ على عدم العودة إلى الدير، ففي الحال فكر الأنبا ثاؤفيلس الأب الحنون، بطريقة ذكية ليجعل الباب مواربا أمام ذلك الراهب، فأخرج نيافته مبلغ خمسة جنيهات مصرية وقدمها للراهب، وقال له " روح يا ابني غيرَّ جو يومين ثلاثة وعُد إلى الدير "، ولكن الراهب رفض أخذ المبلغ المالى وقال له " معى كثير "، ومضى الراهب في الطريق الذي أصر عليه، ورجع نيافة الأنبا ثاؤفيلس إلى الدير، بعدما فعل كل ما يمكنه عمله.

اهتمامه بالأب عبد المسيح الحبشى:

حينما حضر الأب عبد المسيح الحبشى للتوحد ببرية شيهيت، فإنه انتمى إلى دير السيدة العذراء البرموس العامر، وكان الدير يمده باحتياجاته في مغارته. ولظروف ما امتنع دير البرموس عن الاهتمام باحتياجات الأب عبد المسيح الحبشى في المغارة التي يسكنها قدسه بالجبل.

ولكن الله الحنون الذي لا ينسى أحداً مـن أولاده، أرسل لقدسه المتنيح الدكتور راغب حبشى مفتاح ليهتم بإعالته، فكان سيادته يستقل الأتوبيس الصحراوى حتى الرست هاوس، ثم يستأجر سيارة چيب من العرب القاطنين في وادي النطرون، ويذهب بها إلى المغارة التي يسكنها أبونا عبد المسيح الحبشى، وهناك يقدم له احتياجاته من أطعمة ومشروبات وأية احتياجات أخرى، فكان يُحضر له الزيتون والبقوليات والحلاوة الطحينية والزيت ... إلخ.

وأحياناً كان الدكتور راغب مفتاح، يذهب إلى مقر دير السريان بالقاهرة (العزباوية)، ويرسل مع أحد الآباء الرهبان بعض المعلبات والبقوليات، ليوصلها إلى الأب عبد المسيح الحبشى في مغارته.

وقد استمر سيادته يقوم بهذا العمل، ويجازف ويذهب إلى مغارة الأب عبد المسيح الحبشي حتى أثناء الحرب العالمية الثانية، حينما كان المشى في الجبل خطراً.

فلما علم نيافة الأنبا ثاؤفيلس بالأمور الحادثة – بعد فترة من خدمة الدكتور راغب للأب عبد المسيح الحبشى – بدأ يهتم نيافته بأبينا عبد المسيح الحبشى وباحتياجاته، فكان نيافته يذهب بنفسه لزيارته في المغارة كل أسبوع، بالسيارة الچيب الخاصة بدير السريان، وكان يأخذ معه بعض الآباء الرهبان، وكانوا

يأخذون معهم بعض الأطعمة، كالبقوليات والزيت والطحينة والعسل الأسود والملوخية المجففة والخبز وغيرها من احتياجات قدسه.

ويؤيد هذا الكلام مؤلف كتاب " سيرة ومعجزات الأب عبد المسيح الحبشى " في ص ١١ يقول:

" وفي مقدمة الذين عطفوا عليه (أي على أبينا عبد المسيح الحبشى) واهتموا به، وبتدبير طعامه وشرابه وكافة احتياجاته، صاحب النيافة الأنبا ثاؤفيلس رئيس دير السريان ".

وفي ص ٣٨ يقول:

" حدث أن زار قدسه مرةً المتنيح الأنبا ثاؤفيلس الأسقف والرئيس السابق لدير السريان، وكان دائم الاهتمام باحتياجات أبينا عبد المسيح الحبشى، وعرض عليه أن يعمل له باباً للمغارة، فرفض أبونا ذلك الأمر، واستنكره قائلاً (هو أنا ديب ؟!).

سابعاً: محبته وإخلاصه للدير:

أحب نيافة الأنبا ثاؤفيلس دير السريان جداً وكان يقضى فيه فترات طويلة، خاصة في أيام الأصوام، وبهذا أصبح أول رئيس للدير يستقر في الدير بدرجة كبيرة، فقد كان الرؤساء السابقون لنيافته، يعيشون في العزباوية بالقاهرة، ولا يحضرون إلى الدير إلا في مرات معدودة في السنة (مرة أو مرتين)، وكانوا من مكان

إقامتهم يقومون بإرسال احتياجات الدير والآباء الرهبـــان، في شكل قافلة من الجمال محمَّلة بالاحتياجات كل فترة زمنية معينة.

كذلك حينما كان يتقدم شخص ما للرهبنة، فكان رئـــيس الدير يرسل خطاباً أو كارتاً لأمين الدير (الربيتة) ليقوم بقبوله ثم رهبنته بعد حين، أما نيافة الأنبا ثاؤفيلس فكان يختار بنفـــسه المتقدمين للرهبنة، ويختبرهم، وبعد فترة إذا رآهم صالحين يقـــوم برهبنتهم.

وكان نيافته يجلس كثيراً مع الآباء الرهبان بالدير، ويفتقدهم ويلبي لهم احتياجاتهم.

لذا فيعتبر نيافته أول رئيس للدير يقضي به فترات طويلة، مما يظهر حبه للدير وحبه للحياة الرهبانية عامة.

ولم تكن محبة الأنبا ثاؤفيلس للدير وليدة يوم، أي بعد رسامته أسقفاً للدير، بل إنها نشأت معه منذ دخولـــه الـــدير، ونمـــت وترعرعت خلال فترة رهبنته، وتحضرني قصة توضح مدى محبته وإخلاصه للدير، وهي:

حدث ذات يوم أن أرسل البعض للدير شـــيكارة أسمنـــت، وكان الدير في احتياج شديد لها، وكانت لها قيمة كبيرة حينما تأتي إلى الدير، ولسبب ما لا نعرفه فقد تم إنزال الشيكارة عند المفصل أو المفارق (قبل الدير بحوالي ٣ كم)، ومن الطبيعي أن

يخاف الآباء عليها لئلا تضيع، أو لئلا يتلاصق الأسمنت (يشكّ) بفعل الرطوبة أو المطر، ولكنهم احتاروا كيف يـــتم إحـــضارها للدير. فما كان من الأنبا ثاؤفيلس – وكان وقتها راهبـــاً – إلا أنه ذهب بسرعة إلى مكانها، وحملها على كتفه مُحضراً إياها إلى الدير، مما يُظهر حبه للدير وتفانيه في خدمته وانتمائه الـــشديد للدير.

وقد زرع نيافته هذا الحب والانتماء والإخلاص للـــدير، في قلب أولاده الرهبان.

ثامناً: أمانته

تظهر أمانة الأنبا ثاؤفيلس في حرص نيافته الشديد جداً على أموال الدير، فعندما كان نيافته وكيلاً للدير – قبـــل رســـامته أسقفاً للدير حدث أمر يُظهر مدى حرصه على أموال الدير، إذ أنه بينما كان أبونا القمص فلتاؤس السرياني – الرئيس الأســـبق لدير السريان – مريضاً، فخاف نيافته على أموال الدير، فقـــام بجمعها – بصفته وكيلاً للدير – وخبأها في مكان غير معروف حتى لا تتبدد.

وكذلك بعد ما وُضعت عليه مسئولية رئاسة الدير سواء وهو قمص أو بعدما رُسم أسقفاً، ظل حريصاً على أموال الدير، ولا يصرفها إلا في الأمور الضرورية جداً، وفيما يعود علـــى الـــدير

بكل المنفعة.

وقد قال عن نيافته – في قداس الأربعين لنيافته – **قال قداسة البابا شنوده الثالث** مايلى:

"كان الأنبا ثاؤفيلس إنساناً طيب القلب، وكان أميناً جداً على أموال الدير.. وكان يحرص كل الحرص على أموال الدير"، " نذكر له ما أدّاه للرهبنة وللكنيسة، ونذكر أمانته في خدمة الدير كل هذه السنين الطويلة، حتى تركه من أشهر أديرة الكرازة "، " وتشهد دقة حساباته مع هيئة الأوقاف القبطية على أمانته، فقد كانت من أدق الحسابات، وكان نيافته أكثر الرؤساء طاعةً للأوامر التي تضعها البطريركية لتنظيم حسابات الأديرة ".

تاسعاً : وفاؤه لسابقيه

عاش نيافة الأنبا ثاؤفيلس وفياً لرؤساء الدير السابقين له، سواء كان ذلك في أثناء حياتهم أو بعد انتقالهم للسماء.

فكان نيافته – وهو راهب – مطيعاً جداً ومحباً لهم وهم أحياء، وبعد نياحتهم، وتولى نيافته رئاسة الدير، كان في كل قداس يذكرهم في الترحيم – بعد مجمع القديسين بالقداس – ويضع بخوراً في المجمرة ذاكراً أسماءهم واحداً واحداً (وعلى الأخص القمص مكسيموس والقمص فلتاؤس).

كما كان يذكر المتنيح القمص جرجس أبو كفة الذي قام

برهبنة نيافته، و لم يتوقف نيافته عن ذكرهم ووضع البخور عن كل واحد منهم حتى آخر قداس يصليه نيافته.

وظهر أيضاً وفاء الأنبا ثاؤفيلس، عندما تنيح القمص موسى السرياني (وكان أخاه في الرهبنة؛ أي أنهما رُسما راهبين في يوم واحد)، فقد صرح نيافته بدفن القمص موسى أسفل المنارة، في المقبرة التي بناها نيافته لكي يُدفن فيها بعد نياحته، وكان هدف نيافته أنهما كما رقدا تحت ستر واحد في الرهبنة، يُدفنا متجاورين في مقبرة واحدة، وقد كان.

عاشراً : فضيلة إنكار الذات

من أجمل الفضائل التي عاشها نيافة الأنبا ثاؤفيلس فضيلة إنكاره لذاته، فلم يكن يقبل أن ينال مديحاً من أحد، ولهذا قلما تجده يتحدث عن نفسه، أو يعلن عن الأعمال العظيمة التي قام نيافته بعملها، ولكنه حينما كان يجلس مع الآباء الرهبان أو مع العلمانيين الذين يزورون نيافته، فكان يتحدث معهم عن أعمال وفضائل الرهبان القدامى السابقين لنيافته، سواء الذين رقدوا أو الذين مازالوا أحياء، ويتحدث عن آباء الرهبنة الكبار وسير قديسى الكنيسة، وعن بستان الرهبان وما فيه من منافع روحية، المهم ألا يتحدث عن نفسه.

وحدثت واقعة تؤكد محبته لإنكار الذات، وهي:

في العيد الستين لرهبنة نيافته، قام الآباء الرهبان بإعداد حفل بسيط بعد قداس الأحد للاحتفال بعيد رهبنة نيافته، وقاموا بتبليغ نيافته بذلك بعد القداس، فلما علم نيافته خرج غاضباً من الكنيسة إلى قلايته، فذهب بعض الآباء الرهبان الكبار إلى نيافته في قلايته ليحضر معهم، فلما ألحوا عليه استأذنهم وهرب منهم بحجة معينة دون أن يعرفوا ماذا سيفعل، فلما خرجوا أغلق الباب، و لم يفتح ثانيةً رغم محاولاتهم لدعوة نيافته، واضطروا أن ينصرفوا دون أن يقيموا الحفل.

وهكذا عاش نيافته ينكر ذاته طوال حياته، وقد شهد عنه **قداسة البابا شنوده الثالث** قائلاً " كان نيافته إنساناً بسيطاً، لا يقيم لمسألة الكرامة وزناً ".

حادي عشر : احترامه للآخرين:

تميز نيافة الأنبا ثاؤفيلس باحترامه للجميع سواء الكبار أو الصغار، وكان احترامه للشخص يزداد حينما يراه مهتماً بخلاص نفسه ومملوءاً بالغيرة الروحية، ولذلك نجد نيافته – كما يشهد الكثيرون من الآباء الرهبان القدامى – كان يحترم ويقدِّر الراهب أنطونيوس السرياني جداً (وهو حالياً قداسة البابا شنوده الثالث أطال الله حياته)، إذ أن نيافته حينما يراه قادماً نحوه ليسلم عليه، كان نيافته يقف ويستقبله بكل احترام، نظراً لما كان يراه نيافته من غيرة روحية وسعى جاد نحو الملكوت وجدية في الحياة

الروحية.

وفي الكلمة التي ألقاها **قداسة البابا شنوده الثالث،** في قداس الأربعين لنياحة الأنبا ثاؤفيلس، قال " كان الأنبا ثاؤفيلس يحترم الكهنوت، ويحترم البطريرك جداً، حتى ولو كان من أولاد نيافته، فهو الذي رسمني راهباً ثم قساً، وهو الذي اشترك في رسامتي أسقفاً ثم بطريركاً، ومع ذلك كان كثير الاحترام نحوى، وكنت باستمرار أقول لنيافته : يا سيدنا، احنا كلنا أولادك ".

ثاني عشر : طيبة القلب:

كل من عرف نيافة الأنبا ثاؤفيلس، لمس في نيافته طيبة القلب، فكان إذا أخطأ أحد إليه ثم رجع إليه معتذراً، كان نيافته يصفح عنه بسرعة وكأن شيئاً لم يحدث، وهكذا كان يفعل مع أولاده الرهبان دائماً، فكانوا يشعرون بطيبة قلبه كأب حنون رغم حزمه وجديته.

وكذلك كان إذا غضب نيافته على أحد أولاده الرهبان، فسرعان ما كان الغضب يزول من قلبه، ويعود إلى طيبته ويصفح عنه.

ولهذا السبب قال عنه **قداسة البابا شنوده الثالث،** " كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس إنساناً طيب القلب ".

الفصل الثاني

أولاً: المبادىء التى أرساها نيافة الأنبا ثاؤفيلس

١ — غرس المحبة المتبادلة بين الرهبان فى الدير.
٢ — حب القلاية.
٣ — عدم المغالاة فى العمل.
٤ — الحرص على هدوء الدير وسلامه.
٥ — عدم السماح بمبيت السيدات أو حضورهن القداسات فى الدير
٦ — عدم دخول التليفزيون العزباوية.

ثانياً: كان معلماً وقدوة حية لأولاده الرهبان

١ — قدوة فى الآداب الرهبانية.
٢ — كان درساً فى الاتضاع.
٣ — البعد عن أخبار العالم وهو فى الدير.
٤ — ينقطع عن زيارة أسرته.
٥ — لا يمتدح راهباً فى وجهه.
٦ — يعلم أحد الآباء الرهبان النسك.
٧ — درس من بستان الرهبان لراهب يطلب مغارة.
٨ — يعطى درساً لراهب آخر يريد التوحد.
٩ — قدوة لأولاده فى القراءة.
١٠ العمل فى الدير لأجل التصدق.
١١ — الاعتدال فى كل شىء

ثالثاً: أبوته وغيرته على أولاده الرهبان

رابعاً: بعض أقوال لنيافته

مبادئه وتعاليمه

أولاً: المبادىء التى أرساها نيافة الأنبا ثاؤفيلس

كانت شخصية الأنبا ثاؤفيلس شخصية مؤثرة، فلم تمر على تاريخ الدير مرور الكرام دون أدنى تأثير، بل قد أثرى نيافته الدير بمبادىء وتعاليم غاية فى العمق والإبداع، ومما يدل على عمقها أن الدير لا يزال سائراً على ضوئها، ولم يجد ضرورة فى الاستغناء عنها.

ومن أهم المبادىء التى أرساها نيافته فى دير السريان:

(١) غرس المحبة المتبادلة بين الرهبان:

إن أعظم فضيلة فى الوجود هى فضيلة المحبة، " لأن المحبة هى من الله وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله ومَنْ لا يحب لم يعرف الله، لأن الله محبة " (يو ٤ : ٧، ٨)، لذلك غرس نيافة الأنبا ثاؤفيلس هذه الفضيلة بين أولاده، وقد لمس الكثيرون من الغرباء هذه المحبة المتبادلة بين رهبان دير السريان، فتعلّم الناس منهم المحبة وتأثروا بها.

أسرة واحدة: ففى داخل دير السريان يشعر الجميع أنهم أسرة واحدة، فالأب الشيخ الكبير يحب الراهب الصغير أو الأخ

تحت الاختبار، ويغدق عليه من عطفه ومحبته، وكذلك فالراهب الصغير أو الأخ الجديد يحب ويحترم ويقدِّر الأب الكبير طالباً بركته، وهكذا لا تجد فرقاً بين أخ جديد أو أب كبير فى دير السريان، ففى المحبة يذوب الجميع.

فى المناسبات: وتُترجَم هذه المحبة فى يوم رسامة الأخ الجديد (طالب الرهبنة) إذ ينضم إلى مجمع رهبان الدير، فتجد الجميع يفرحون برسامته راهباً ويذهبون إلى قلايته ليهنئوه، وكذلك فى جميع الرسامات (القسيسية أو القمصية)، ويتبادلون الهدايا الرمزية كتعبير عن مشاعر المحبة.

فى الضيقات: وكذلك إذا مر أحد الإخوة أو الآباء الرهبان بضيقة ما أياً كانت (مرض — إجراء عملية جراحية — تأخُّر فى الرسامة أو الترقية — وفاة أحد أفراد أسرته الجسدية ... إلخ)، فتجد جميع الآباء الرهبان يلتفون حوله ويشجعونه أو يعزونه أو يسندونه، لكى لا تكسره التجربة أو الضيقة، وليس هذا فقط، بل من الجانب الآخر يرجع كل أب إلى قلايته وينسكب فى صلاة حارة من أجل هذا الذى يمر بالتجربة، متضرعاً إلى الله من أجله.

وأيضاً فى صلاة القداس الإلهى، ربما تجد ورقة متكررة من الكثيرين على المذبح بخصوص الذى يمر بالتجربة، وكذلك يقوم الكثيرون بتوصية الأب الخديم فى القداس، لكى يذكره فى أثناء

تذكارات الحمل، لكى يعينه الله ويفك ضيقته.

عنقود العنب :

إن قصة عنقود العنب الذى كان فى عصر القديس العظيم أبى مقار، وأخذ يلف على كل راهب، وكان كل واحد يفضِّل أخاه على نفسه إلى أن وصل حيث بدأ ؛ تتكرر أحداثها فى دير السريان.

فتجد هنا فى الدير محبة الآباء لبعضهم البعض، فالكل يفضل تقديم — أى شىء لديه — إلى إخوته الرهبان، فيتركه له على باب قلايته (سواء طعام أو ملابس أو ... إلخ).

وكذلك حينما يدخل أخ جديد إلى الدير (طالب رهبنة)، فالجميع يسارعون بتقديم الأدوات التى يحتاجها فى قلايته (أطباق، أوانى طهى، حصيرة ... إلخ)، وفى إنكار للذات يضعونها أيضاً أمام قلاية الأخ الجديد وهو فى عمله، فيعود ليجد الكثير من احتياجاته، فيلمس محبة الآباء له، فيحبهم ويزداد ثباتاً فى طريق الرهبنة ويحب الدير، وتنغرس فيه المحبة للآباء وتقديم الخدمة لمن يحتاجها.

نشكر الله أن عنقود العنب مازال يتنقل بين رهبان دير السريان حتى الآن ، وسيستمر بنعمة الله، مرسخاً المحبة المؤدية إلى الملكوت.

لقد أسس الأنبا ثاؤفيلس وثبت هذا المبدأ الهام بين رهبان دير السريان، وذلك عن طريق تقديم النصائح بشكل متكرر لكل راهب يقابله، قائلاً له " حب إخوتك ".

كذلك حكمة نيافته فى التدبير الرهبانى، فقد كان أحياناً كثيرة يقسو على بعض الرهبان أو الإخوة طالبى الرهبنة، أو كان يدَّعى الشدة، لغرض سامٍ وهو أن يجعل الآباء الرهبان يحبون بعضهم بعضاً، حيث يلتفون حول الأخ أو الراهب الذي، يشعرون أنه فى شدة ما، فتزداد المحبة والألفة إذ يشجعون بعضهم بعضاً حتى لا تتعبهم الشدائد، لأن الجميع يعلمون أن العجلة تدور وربما يتعرض أى منهم لنفس الشدة، ولهذا السبب الواضح لم يكن يتضايق من نيافته أو يكرهه أى أحد من أولاده رغم قسوته أحياناً.

(٢) محبة الجلوس فى القلاية :

ضرورة الغرض الجيد: لكى تنمو البذرة لابد أن تُغرَس فى أرض جيدة، وهل هناك أجود من أرض الدير المشبعة بالصلوات مدى آلاف السنوات؟!، ولكى تنمو الشجرة نمواً مستمراً بلا توقف، لابد أن تظل ثابتة فى جزء من الأرض الجيدة، وفى الدير لا يوجد أفضل من الثبات فى القلاية.

النمو: كان هذا هو تعليم الآباء القديسين فى بستان الرهبان، فقد حرص نيافة الأنبا ثاؤفيلس الأب الواسع الأفق البعيد النظرة،

أن يغرس فى أولاده محبة الثبات فى داخل القلالى، لكى تنمو حياتهم باستمرار وتتأصل شجرة حياتهم فى أرض الدير المقدسة فيضمنون – بنعمة الله – الوصول إلى الملكوت.

الجلوس مع الله: ولهذا، يلاحظ الزوار لدير السريان، سواء كانوا آباء أساقفة أو آباء كهنة أو علمانيين عاديين، أنهم خلال زيارتهم للدير نادراً جداً ما يقابلون أحد الآباء الرهبان، إلا المسئولين عن أعمال هامة داخل الدير الأثرى (أمين الدير – الأب مسئول البوابة – الأب مسئول الزيارات – أو الأعمال الأخرى) فقط، فيتعجب الجميع من ذلك، ولكن السبب واضح وهو محبة الآباء للجلوس داخل قلاليهم يقضون أوقاتهم مع الله، وهذا ما غرسه فى الدير الأنبا ثاؤفيلس بين رهبان دير السريان.

الوسائل:

وكانت الوسائل التى يستخدمها نيافة الأنبا ثاؤفيلس فى إرساء هذا المبدأ هى:

(أ) تواجد نيافته بكثرة فى الدير.

(ب) تشجيع أولاده باستمرار على العمل الروحى.

فقد كان نيافته يجلس فى وسط الدير الأثرى (بجوار شجرة مار أفرام السريانى)، فبالتالى يخجل الآباء من الخروج من قلاليهم لئلا يبكتهم نيافته كعادته، فإذا رأى راهباً متواجداً خارج قلايته

كان يقول له إحدى العبارات التالية:

(هل أنت أفلست يا ابنى؟!) [أى لم تعد لديه حصيلة روحية وعشرة مع الله]

أو (فى أىّ الكتب تواصل قراءاتك الآن يا ابنى؟)

أو (أحضر لى بستان الرهبان واقرأ لى بعض الصفحات منه).

فنتيجة لذلك كان الآباء الرهبان يتحاشون الخروج من قلاليهم بدون داعٍ، وبالتالى يثابرون على الجلوس فى القلالى، فتنمو حياتهم تدريجياً، ويحبون العشرة مع الله داخل القلالى، ومن هنا تأصلت فى قلوبهم محبة الجلوس فى القلاية للاستفادة الروحية.

(٣) عدم المغالاة فى العمل:

إن العمل ضرورى جداً فى الحياة الرهبانية، ولكنه يجب ألا يطغى على الحياة الروحية، ولهذا كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس يحرص ألا يشغل العمل وقتاً طويلاً من يوم الراهب، لكى يجد الراهب وقتاً كافياً يقضيه داخل القلاية فى الصلاة والقراءة والعمل الروحى.

حدث فى إحدى فترات الصوم الكبير، أن الراهب المسئول عن معمل الألبان فى الدير، أخذ يعمل فترات طويلة (من باكر حتى منتصف النهار) كل يوم، لكى يقدر أن يخزن ما يحتاجه الدير فى فترة الخمسين يوماً المقدسة، وفى نهاية الصوم ذهب إلى

نيافة الأنبا ثاؤفيلس، وعرض على نيافته نتائج عمله (أنه قام بتخزين أكثر من عشر صفائح من الجبن، وثلاث صفائح من السمن)، وكان ينتظر كلمة مديح أو إطراء من نيافته.

ولكن نيافته كان يلاحظ فى صمت، أن الراهب كان مهتماً جداً بالعمل فى المعمل أكثر من اهتمامه بالعمل الروحى، فقال له نيافته (لماذا كل هذا العمل؟، إن السمن والجبن يرفعون نسبة الكوليسترول واليوريك أسيد فى أجسام الرهبان)، ثم قال له نيافته: " أنت أفضل شىء أنك تترك العمل نهائياً "، وهذا كان بالطبع من محبة نيافته له وأبوته له، لأنه كان يخاف على خلاصه أكثر من العمل.

وهكذا فى مواقف كثيرة نجد أن نيافة الأنبا ثاؤفيلس قد أرسى مبدأ " قليل عمل " فى قلب كل راهب من أولاده، حيث تكون الأولوية للعمل الروحى الداخلى للراهب فى قلايته، وأن يهتم بخلاص نفسه أهم من أى عمل آخر مهما كان.

(٤) الحرص على هدوء الدير وسلامه:

كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس يحب حياة الهدوء والسكون والسلام جداً. فكان من الطبيعى أن تنعكس هذه الفضائل على دير السريان ومن فيه من أولاده الرهبان، فأصبح الهدوء والسلام من السمات التى يتميز بها الدير على الدوام.

وكان نيافته – لهذا السبب – يغلق أبواب الدير أمام الزيارات فى الصوم الكبير، حتى لا يزعج الزوار الآباء الرهبان بضوضاء العالم، وبالتالى يعيشون فترة اعتكاف فى الصوم كما قال الكتاب " قدسوا صوماً، نادوا باعتكاف " (يوئيل ١: ١٤)، فيثمرون ويكونون بركة لكل الكنيسة ولكل العالم.

وكان أيضاً نيافته يقوم بإيقاف أعمال البناء والأعمال الأخرى أثناء فترة الصوم، حتى يستفيد الآباء الرهبان جداً بفترات الصوم، فتكون فترات خزين روحى يعينهم فى باقى أيام السنة.

(٥) عدم السماح بمبيت السيدات أو حضورهن القداسات فى الدير:

من أهم وأجمل المبادىء التى أرساها نيافة الأنبا ثاؤفيلس فى دير السريان، عدم السماح للسيدات أو الفتيات بالمبيت فى الدير، وكذلك عدم السماح لهن بحضورهن القداسات فى الدير، بدون استثناء (حتى لو كانت تلك السيدة والدة راهب أو أخته). وأيضاً عدم حضور الرحلات قداس الرهبان والسبب فى ذلك ليس الكراهية للناس، ولكن الحذر من عدو الخير الذى يستخدم بعض المواقف كمصدر للعثرة والتعب الروحى، وعلى ما يقول المثل (الباب الذى تأتى لك منه الريح، سدّه واسترح)، لأن الحرص مهم جداً فى حياة الرهبان، حتى يظلوا محتفظين بنقاوة قلوبهم، وهذا طبعاً لا يضايق الناس حتى لو كان فيه منع

بالصورة التى شرحناها سابقاً، بل يفرح الجميع لأجل بنيان الكنيسة، لأنه كما يقول رب المجد " ويل لذلك الإنسان الذى به تأتى العثرة " (مت ١٨ : ٧).

ولكى يرسِّخ نيافة الأنبا ثاؤفيلس هذا المبدأ السامى، حدث ذات مرة، أثناء نقل الأجساد من كنيسة السريان (التى نقضى بها فترة الصيف)، إلى كنيسة المغارة (حيث نقضى بها فترة الشتاء)، وأثناء زفة الأجساد والخروج من الكنيسة، وكان نيافته ممسكاً بالمجمرة يبخر للأجساد، فوجىء نيافته بدخول أربع سيدات (وكن عجائز ولسنَ حدثات)، دخلن من الباب الأثرى وتوجهن نحو الأجساد للتبرك منها أثناء الزفة.

فصرخ نيافته بصوت عال " شيطان. شيطان. شيطان "، ففزعت السيدات وخرجن مسرعات، إلى أن انتهت الزفة وصلاة رفع بخور عشية، ثم دخلن لأخذ البركة، بعد انصراف الآباء الرهبان.

وكان هدف نيافته، هو أن يحذِّر الآباء الرهبان، من أن تطيش عقولهم بعيداً عن الآباء القديسين، على الرغم من أن السيدات كُنّ كبار السن، ولكن ينبغى الحرص دائماً من الشيطان الذى يستخدم الجسد الفانى كوسيلة للعثرة، لأن الشيطان لا ييأس بل يحاول بجميع الطرق تشتيت الإنسان عن الهدف الروحى. وبهذا أرسى نيافته مبدأ الحرص من العثرة على الدوام.

(٦) عدم دخول التليفزيون العزباوية :

عقب الاحتفال بجلوس قداسة البابا شنوده الثالث على كرسى مار مرقس فى نوفمبر عام ١٩٧١م، عرض التليفزيون المصرى بعض الأحاديث مع قداسته. وأحب الأنبا ثاؤفيلس أن يشاهد العرض بالتليفزيون. ولما علم بذلك ابن أخته اقترح عليه أن يحضر له التليفزيون الخاص به فى العزباوية لمشاهدة حديث البابا فى التليفزيون وبعد ذلك يرجعه إلى مترله. ولكن الأنبا ثاؤفيلس رفض دخول التليفزيون نهائياً إلى العزباوية وقال " مفيش تليفزيون يدخل العزباوية " وقرر نيافته أن يذهب إلى بيت أخته لمشاهدة الحديث الذى أجراه التليفزيون المصرى مع قداسة البابا شنوده الثالث وكانت هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى زار فيها والده حيث إنه كان مقيماً عند ابنته.

وهكذا عاش الأنبا ثاؤفيلس حريصاً أن لا يغير التخم الذى وضعه آباؤه مهما كانت الأسباب والدوافع حتى ولو كانت على نفسه.

إن رهبان دير السريان، لن ينسوا إطلاقاً هذه المبادىء العظيمة وغيرها التى أرساها نيافة الأنبا ثاؤفيلس فى دير السريان بين أولاده الرهبان، والتى مازال يتبناها وينميها ويسير على خطاها نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السريان (أطال الله حياته).

وبهذا أصبح دير السريان صرحاً متميزاً بمبادئه، التى ينضح بها على الآخرين، ومناراً يضيء الطريق للكثيرين، ونسأل الله أن يديمه كتراً وذخراً للرهبنة القبطية على الدوام آمين.

ثانياً: كان معلماً وقدوة حية لأولاده الرهبان

(١) قدوة فى الآداب الرهبانية:

للحياة الرهبانية طابعها الخاص، ومن أفضل ما يميزها الآداب الرهبانية التى تزينها برونق من الجمال الروحى الفياض. ولقد عاش الأنبا ثاؤفيلس – منذ رهبنته وطوال حياته – راهباً متأدباً بالآداب الرهبانية، ولذلك كان نيافته قدوة حية عملية أمام أبنائه الرهبان، فكانوا يتعلمون مما يعيشه نيافته بينهم وليس بمجرد كلمات وعظية، وبالتالى أثمرت هذه الفضائل فيهم وتأصلت.

ونذكر أمثلة من الآداب الرهبانية التى عاشها نيافته وعلمها لأولاده:

(أ) لا يُفاجىء أحداً بالزيارة:

فحينما كان يريد نيافته، أن يزور أحداً من أولاده الرهبان فى قلايته، كان نيافته ينادى عليه بصوت عال، قبل أن يقترب من باب قلايته، قائلاً النداء الرهبانى " أغابى يا أبونا ... "، ويكرر هذا النداء أكثر من مرة، إلى أن يصل إلى باب قلاية الراهب، أو يخرج الأب الراهب مسرعاً للقاء نيافته، وهكذا كان نيافته يحترم أولاده الرهبان، فلا تكون زيارته مفاجئة له أو كنوع من الاقتحام، بل تكون كلها أبوة منذ بدايتها حتى نهايتها.

(ب) لم يكن يُحرج الإخوة:

كان فى مجمع (قصر) الضيافة الخاص بضيوف نيافته، يقوم الإخوة بإعداد الطعام، فحينما يحضر ضيوف للأنبا ثاؤفيلس، كان يدخل نيافته ليطلب من الإخوة – طالبى الرهبنة – تقديم الطعام لهم، فأحياناً كان يجدهم يأكلون، فكان نيافته يخرج مسرعاً حتى لا يَحرجهم فيتركوا الطعام لأجله.

(جـ) يحترم نظام راهب صغير:

ذات مرة فى إحدى زيارات نيافته لأحد أولاده الرهبان فى قلايته، أراد نيافته أن يدخل الحجرة الداخلية للقلاية (التى تسمى محبسة الراهب)، فاعتذر الراهب لنيافته قائلاً (حاللنى يا سيدنا لا تدخل المحبسة)، فلم يدخل نيافته منفذاً رغبة الراهب، وبعدما جلس بعض الوقت مع الأب الراهب، استأذن منصرفاً دون أن يتضايق نيافته، أو تظهر على وجهه أو تصرفاته علامات الضيق أو الغضب.

(د) يحترم الرهبان جداً:

كان من آداب نيافته الرهبانية ومن اتضاعه، أنه حينما يجد مكاناً يحتاج إلى تنظيف، فكان نيافته يخجل أن يُكلف راهباً بكنس ذلك المكان وتنظيفه، بل كان يكلف أى أخ جديد طالب رهبنة بهذا العمل.

وكذلك فى حالة الاحتياج لنقل أشياء من مكــان إلى آخــر (فى داخل كراتين أو أكياس)، كان يتصرف نيافته بالطريقــة السابق ذكرها أيضاً.

(٢) كان درساً فى الاتضاع:

قام دير السريان بإنشاء أول بيت خلوة للشبان، لكى يقضوا فيه أوقاتاً روحية يتعلمون فيهــا الاهتمــام بحيــاتهم الأبديــة وخلاصهم، وخلال هذه الفترة كان نيافتــه يهــتم بالــشباب ويعلمهم دروساً عملية لحياتهم، فكان نيافته يعلمهم الاتــضاع، وذلك بأن يكلف نيافته الأب الراهب المسئول عن بيت الخلــوة أن يقوم بغسل أقدام الضيوف والشبان فى حال وصولهم الــدير، لأنهم كانوا يقطعون المسافة من الرست هاوس إلى الدير ســيراً على الأقدام، وكان هذا درساً فى الاتضاع للشبان ولكل الآباء الرهبان.

كما كان نيافته يحضر للاطمئنان على الشبان فى بيت الخلوة، من جهة راحتهم وسكنهم فى الحجرات الخاصة بهم وطعــامهم وخلافه، ثم كان يجمعهم نيافته، ويجلس هو على سُــلَّم بيــت الخلوة (وليس على كرسى)، ويجلس الشبان أمامه على الرمال، ويقرأ نيافته لهم بستان الرهبان، ويعطيهم كلمة روحية لمنفعتهم، فكان منظر نيافته فى جلوسه على الأرض أيضاً درساً عمليــاً فى الاتضاع.

(٣) البعد عن أخبار العالم وهو فى الدير:

اعتاد الأنبا ثاؤفيلس أن يمتنع عن سماع أى أخبار أياً كانــت من العالم وهو بالدير. ليشارك أولاده الرهبان وليصبح أمــامهم قدوة فى البعد عن أخبار العالم. وعرف ذلك عنه كل المقــربين إليه. فكانوا يتحاشون توصيل أى خبر إليه طالما هو متواجــد فى الدير.

(٤) ينقطع عن زيارة أسرته:

عاش الأنبا ثاؤفيلس معلماً وقدوة لأولاده الرهبان فى عــدم ارتباط الراهب بأسرته. فعلى الرغم من قرب المترل الذى يسكن فيه والده من العزباوية إلا إنه لم يزره إلا مرة واحدة فقــط ولم تكن بغرض زيارته والاطمئنان عليه إنما كانت لمشاهدة حديث لقداسة البابا شنوده الثالث فى التليفزيون عقب جلوســه علــى كرسى مار مرقس.

(٥) لا يمتدح راهباً فى وجهه:

إن إحدى وصايا كتاب بستان الرهبان – الذى يحوى أهــم أقوال آباء الرهبنة القدامى – هى " لا تمتدح راهباً فى وجهه "، وهذا فيه حكمة عميقة حتى لا يتكبر الراهب وتخدعه الشياطين، وفى نفس الوقت حتى يحتفظ باتضاعه كما قال رب المجــد " إن عملتم كل البر، فقولوا إننا عبيد بطالون " (لــو ١٧: ١٠)،

فكان نيافة الأنبا ثاؤفيلس يهتم بأن ينفذ هذه الوصية الإلهية والآبائية.

وذات مرة كان يستقل نيافته سيارة الدير، وكان بجوار نيافته أحد الآباء الأساقفة، فى طريقهم من الدير إلى القاهرة، فبعد أن جلس الأب الأسقف بجوار الأنبا ثاؤفيلس فى السيارة، مدح الأول قائد السيارة (وهو أحد الآباء الرهبان) أمام الأنبا ثاؤفيلس قائلاً (يا سيدنا، أبونا .... راهب ممتاز وذكى جداً جداً)، فرد الأنبا ثاؤفيلس عليه بسرعة قائلاً (لا لا، العكس صحيح)، فساد الصمت على المكان.

فلما وصلت السيارة إلى بوابة الدير، أوقفها الأب الراهب ونزل منها ليفتح البوابة، فمال الأنبا ثاؤفيلس على الأب الأسقف وقال له بصوت مسموع " لا تمتدح راهباً فى وجهه، لئلا تتجمع حوله الشياطين "، فكان هذا درساً عملياً للأب الراهب فى عدم قبول مديح الناس، وللأب الأسقف فى ألا يمدح راهباً فى وجهه.

(٦) يُعلِّم أحد الآباء الرهبان النسك:

قبل أن يلتحق أحد الإخوة بدير السريان كطالب رهبنة، كان جندياً مجنداً فى الجيش المصرى لفترة طويلة، وشارك وقتها فى حرب اليمن، وكان طبيعياً أنه يأكل كثيراً جداً من الطعام وبشراهة، لأنه شاب وفى المعركة يحتاج لجهد كبير، وهذا

يتطلب طاقة كبيرة، كان يستمدها من كثرة الأطعمة.

فلما دخل هذا الشاب إلى الدير كطالب رهبنة، استمرت معه شراهته فى الأكل، ولكن بحسب الإمكانيات المحدودة للدير، حتى فى فترات الأصوام، فكان يضع أمامه على المائدة أنواعاً كثيرة من الأطعمة (كالخضار المطهى، والأرز المطهى، والحلاوة الطحينية، والزيتون والمخللات.. إلخ).

فلما لاحظ ذلك نيافة الأنبا ثاؤفيلس، حضر فى ظهيرة أحد الأيام إلى قلاية ذلك الأخ، ونادى عليه فخرج مسرعاً من قلايته، فطلب نيافته كرسياً ليجلس عليه، ثم قال للأخ " يا ابنى أريد زيتونتين لكى أتغدَّى بهما هنا "، فقال الأخ " حاضر يا سيدنا ".

ثم دخل الأخ وأعدّ مائدةً مملوءة بأطعمة كثيرة، وأحضرها على صينية إلى سيدنا ليتغدّى، فلما رأى نيافته ذلك قال للأخ " إيه ده كله، إيه ده كله ؟!، هو الراهب عاوز إيه غير زيتونتين فقط ؟! " ومد نيافته يده وأخذ خبزة وأكلها مع زيتونتين فقط، وقال للأخ " ارفع الصينية بما عليها "، ثم أكل وانصرف نيافته، تاركاً وراءه درساً عملياً للأخ فى النسك، لم ينسه هذا الأب الراهب (فيما بعد) طوال حياته.

(٧) درس من البستان لراهب يطلب مغارة:

اشتاق أحد الآباء الرهبان أن يسكن فى مغارة فى الجبل ليتوحد بها، فطلب ذلك من نيافة الأنبا ثاؤفيلس، ولكن نيافته رفض لأنه خاف على الراهب أن يسلك طريق الوحدة الصعب لأنه محفوف بالمخاطر، حيث حروب الشياطين الشديدة سواء بالضربات اليمينية (الكبرياء وخلافه)، أو الخوف من شدة النسك... لأن الراهب لم يبلغ بعد مستوى السلوك فى هذا الطريق، وبناءً على ذلك لم يسمح له نيافته بحياة الوحدة، فتضايق الراهب.

فلكى يعلمه نيافته درساً، انتهز فرصة " مجمع الخبيز " يوم السبت بعد صلاة التسبحة، حيث يجتمع الآباء الرهبان فى المخبز، ويقومون بتقطيع العجين وتجهيزه للخبيز وترتيبه على الألواح الخشبية (الطاولات)، ففى أثناء ذلك يقوم نيافته بقراءة جزء من كتاب بستان الرهبان.

فاختار نيافته جزءاً يتحدث عن قصة راهب طلب من أبيه الروحى أن يسمح له بسُكنى المغارة، ولكن أباه الروحى رفض ولم يسمح له، فأطاع ذلك الراهب كلام أبيه الروحى، ونتيجة لذلك أنعم الله عليه ببركات كثيرة.

وفى نهاية " مجمع الخبيز " انصرف الآباء الرهبان إلى قلاليهم، ولكن الأب الراهب صاحب الطلب عاليه فهم الدرس الذى يقصده نيافة الأنبا ثاؤفيلس، فتعلمه جيداً وانتفع، واعتبر ذلك

صوت الله إليه، فأطاع بفرح كلام الله على فم نيافة الأنبا ثاؤفيلس، وزال ضيقه من جهة رفض طلبه.

(٨) يعطى درساً لراهب يريد التوحد:

تأثر أحد الآباء الرهبان بالقراءات النسكية التى يقرأها، وأراد أن يُقدم على حياة التوحد، فقام بسرعة بتعليق ورقة على باب قلايته مكتوباً فيها " برجاء محبة عدم طرق باب القلاية ... حاللونى وسامحونى " ودخل قلايته وحبس نفسه فيها راغباً ألا يخرج منها إلا فى يومى السبت والأحد، فلما علم نيافة الأنبا ثاؤفيلس ما يريد هذا الراهب أن يفعله، خاف عليه لأنه علم أنه غير مؤهَّل – آنذاك – لهذه الحياة التوحدية النسكية الشديدة، فذهب نيافته إليه قبل مجمع صلاة الغروب بحوالى ربع ساعة، وطرق باب قلايته وأخذ يناديه بصوت عال كعادته، فلما تأكد الراهب أن الطارق هو نيافة الأنبا ثاؤفيلس، فتح لنيافته باب القلاية، وأدخله وأجلسه على الحصيرة (لأنه لم يكن لديه كراسى)، فظل نيافته يحدثه إلى أن دق جرس الغروب، فدعاه نيافته للحضور، فأطاع الراهب وخرج وحضر مجمع صلاة الغروب، وهكذا بحكمة وأبوة أخرجه نيافته من تدبير قد يضره آنذاك، وعدل الراهب بعدها عما كان يريده.

(٩) قدوة لأولاده فى القراءة:

من أهم ما يفيد الإنسان وينميه روحياً، هو قراءة الكتاب

المقدس والمخطوطات التى فيها كتابات الآباء والكتب الروحية، وقد كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس يحب جداً القراءة وخصوصاً قراءة المخطوطات، ولذلك كان يهتم نيافته بأن يُعلم أولاده ضـرورة القراءة فيها. فحينما يدخل أخ جديد طالب رهبنـة إلى الـدير ويتم قبوله، كان نيافته حينما يقابله يسأله قائلاً " هـل تقـرأ المخطوطات أم لا ؟ " وكثيراً ما كان نيافته يختار مخطوطة يجعل الأخ يقرأ فيها أمامه، ثم ينصحه بقراءة المخطوطات والكتـب الروحية، وبعد ذلك يصرفه بسلام.

(١٠) العمل فى الدير لأجل التصدُّق :

فى الأعمال المختلفة فى الدير، يتم الاستعانة ببعض العمـال المحتاجين، حيث يساعدون فى أعمال الدير، ويتقاضون أجـوراً على ذلك، يساعدون بها ذويهم، وفى إحدى المرات تهاون عامل فى عمله وتصرف بطريقة غير لائقة، فغـضب الأب الراهـب المسئول عن ذلك العمل، وانفعل وضرب العامل.

فوصل الخبر إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس، وحضر العامـل وهـو يبكى أمام نيافته، فاستدعى نيافته الأب الراهب وسـأله قـائلاً " لماذا تضرب العامل؟ "، فأجابه " لأنه أهمل فى عمله ".

فقال نيافته " يا أبونا احنا بنشغل العمال ليس لكى نأخـذ منهم إنتاجاً، ولكن لكى نعمل صدقة معهم "، وأرضى نيافتـه العامل وصرفه، ثم انصرف الأب الراهب أيضاً وقد تعلم درسـاً

من نيافة الأنبا ثاؤفيلس، أن الهدف من العمل هو التصدق وليس الحصول على إنتاج أو ربح مادى.

(١١) الاعتدال فى كل شىء :

سلك نيافة الأنبا ثاؤفيلس باعتدال فى حياته الروحية، وكذلك فى كل أمور الحياة عامةً، فلم يكن نيافته يميـل إلى التطـرف، وكذلك علَّم نيافته أولاده الرهبان أن يسلكوا باعتدال فى حياتهم الروحية وأيضاً فى أمور الحياة الأخرى. ونذكر قصة توضح ذلك وهى كالآتى:

كان أحد الآباء يقضى فترة فى خدمة إحـدى الكنـائس فى العالم، فحضر إلى الدير لكى يقضى فترة خلوة به، ومن محبتـه لإخوته الرهبان، أحضر لكل واحد منهم هدية معه، وكـذلك أحضر هدية لنيافة الأنبا ثاؤفيلس، ولكنه فوجىء أن كل المبالغ التى معه قد أنفقها على الهدايا.

وقبلما يغادر الدير عائداً إلى خدمته بالعالم، ذهب إلى نيافـة الأنبا ثاؤفيلس ليودعه ويأخذ بركته وصلواته لتسنده فى الخدمة، ثم طلب من نيافته – فى خجل شـديد – أن يعطيـه عـشرة جنيهات كأجرة للمواصلات إلى المطار، وشرح لنيافته أنه قـد أنفق كل ما معه.

ولكن العجيب أن نيافة الأنبا ثاؤفيلس رفض أن يعطيه المبلغ،

فألح على نيافته أن يعطيه المبلغ كسُلفة، على أن يرده له فى الزيارة القادمة، ولكن نيافته رفض بإصرار شديد.

فخرج الأب الراهب غاضباً، وفى ضيقه كان يتمتم ببعض كلمات شديدة، فسمعه أحد الآباء الرهبان وكان متابعاً لخطوات اللقاء مع الأنبا ثاؤفيلس، فهدأه، وذهب بسرعة إلى أحد الآباء الأساقفة – الذى كان يقضى فترة خلوة بالدير – وأعلمه بما حدث، فأعطاه نيافته المبلغ، فأوصله للأب الراهب، فشكره وسافر عائداً إلى خدمته، ولكنه تعلم درساً لن ينساه، أنه لابد أن يتصرف بحكمة واعتدال فى كل أمور حياته.

وقد يتعجب البعض من موقف الأنبا ثاؤفيلس ويتهمه بالبخل، ولكن الحقيقة أنه كان يريد أن يُعلِّم ابنه الراهب درساً فى الاعتدال فى حياته، والذى يدل على هذا هو أن نيافته، كان – فى كل مرة يحضر فيها الأب الراهب المذكور من خدمته – فإن نيافته كان يعطيه قبل سفره مبلغاً من المال، فكان قدسه يأخذه من نيافته بعد إلحاح شديد ويقبله كبركة من أبيه الروحى نيافة الأنبا ثاؤفيلس.

ثالثاً: أبوته وغيرته على أولاده الرهبان

كان الأنبا ثاؤفيلس ليس فقط رئيساً لدير السريان، ولكنه كان أيضاً أباً حقيقياً – للآباء الرهبان – بكل ما تعنيه كلمة " الأبوة "، فكان قائداً وأباً فى آن واحد.

ولكن أبوته لأولاده الرهبان لم تكن بتدليل، إنما كانت بحكمة مملوءة بالحنان ومملوءة أيضاً بالحزم حينما يتطلب الموقف هذا الحزم فحينما كان يخطىء أحد أولاده الرهبان، كان نيافته يتعامل معه بكل حزم وربما يبدو فيه القسوة ويعطيه قانوناً للتأديب والإصلاح والتتويب، وفى أبوته كان يتابعه من بعيد.

وحينما يجده استفاد من الدرس، يستدعى نيافته أحد الآباء الشيوخ ويقول له " صالحنى يا ابنى على أبونا .... "، فيذهب الأب الشيخ إلى ذلك الراهب ويأخذه إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس، موصياً إياه أن يعمل ميطانية لنيافته طالباً الحل والسماح.

وحينما يصلان إلى نيافته، كان يتظاهر بأنه مازال غاضباً عليه، فيرفع نيافته صوته ويعنفه ويوبخه بكلمات شديدة، فيعطى الراهب لنيافته الميطانية ويقبل يدى نيافته قائلاً " أخطأت حاللنى يا سيدنا ".

وهنا فى أبوته الحانية يمنحه الحل بسرعة، وكأنك أطفأت ناراً متوهجة بماء بارد، فيقول له نيافته " طب يا ابنى، اطلب لنا

كوبين من الشاى من مجمع القصر "، ويُجلسه نيافته معه بكل محبة وأبوة ويُشعره كأنه لم يكن هناك أى غضب، ويعطيه كلمة روحية مناسبة ثم يصرفه بسلام.

الهدف من التأديب:

لقد كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس مملوءاً بالحكمة والأبوة، وكما رأينا أن نيافته كان يتصرف تصرفات قد تبدو أنها غريبة وقاسية مع أولاده الرهبان، وحينما يراها أى أحد لأول وهلة قد يحكم أن نيافته قاس، بل إن الراهب الذى يقع عليه التأديب قد يشعر بقسوة نيافته عليه فى البداية.

ولكن بعد مرور فترة التأديب، يشكر الراهب الله ويشكر الأنبا ثاؤفيلس الحكيم، لأنه كأب يعرف أن التأديب لمصلحته، فيخرج من التجربة أكثر نقاءً وأكثر حنكةً، ويكون قد اكتسب فضائل عديدة.

وهكذا كانت تصرفات نيافته تهدف إلى تعليم أولاده الرهبان وتقويمهم بحكمة فى الطريق الرهبانى، إلى أن يصلوا بسلام إلى نهايته.

قصة توضح غيرته على أولاده، ثم تأديب المخطىء:

ذات يوم، زار أحد الأشخاص مقر دير السريان (العزباوية)، وقابل نيافة الأنبا ثاؤفيلس، وقدم لنيافته شكوى فى أحد الرهبان.

فلم ينتظره نيافته أن يكمل حديثه، بل قاطعه، ورفع صوته ليعنفه قائلاً " أنتم ما عندكومش غير قلة الأدب والتطاول على الرهبان "، فحاول الشخص أن يستسمحه ليكمل حديثه ويوضح لنيافته الموضوع، فقاطعه سيدنا قائلاً " هو ما فيش غير السيرة دى ... أوعى تقول هذا الكلام قدام أى شخص آخر "، ثم تركه سيدنا ودخل قلايته.

فتقدم أحد الآباء الرهبان الموجودين، وقال للشخص " لا تمش إلا بعدما تضرب ميطانية لسيدنا وتأخذ رضاه ".

فلما خرج نيافته بعد عشر دقائق، ورأى الشخص مازال موجوداً، قال له بصوت عال " أنت مازلت موجوداً؟!، لماذا لم تنصرف؟!، هو ما فيش غير السيرة دى؟! "، فضرب الشخص ميطانية لسيدنا وقال لنيافته " أخطأت حاللنى يا سيدنا "، فقال نيافته له " ليس لك حل أن تتكلم فى هذا الموضوع أمام أى أحد، فاهم ولا لأ ؟! "، فلما أجاب بالطاعة قال له نيافته " الله يحاللك يا ابنى " ثم صرفه.

وهكذا فعل نيافته مثل القديس الأنبا مقار الكبير الذى ستر على خطأ راهب، فتاب ذلك الراهب، وهكذا لم يُرد نيافته أن تتفاقم العثرة فتسبب خسائر كثيرة فى جميع الاتجاهات.

ولكن فى حزم شديد – كأب – استدعى نيافته الراهب

موضوع الشكوى، ووبخه بشدة وعاقبه، إلى أن تاب ورجع عن تصرفاته وأخطائه.

غيرة وحزم:

وفى مواقف كثيرة كانت تظهر غيرته على أبنائه الرهبان، فكان يدافع عن المخطئين أمام العلمانيين، وبينه وبينهم يؤدبهم بقوانين للتوبة، حتى يعودوا إلى صواب حياتهم مرة أخرى.

رابعاً: بعض أقوال لنيافته

كان لنيافة الأنبا ثاؤفيلس بعض الأقوال المأثورة، نذكر منها ما يلى:

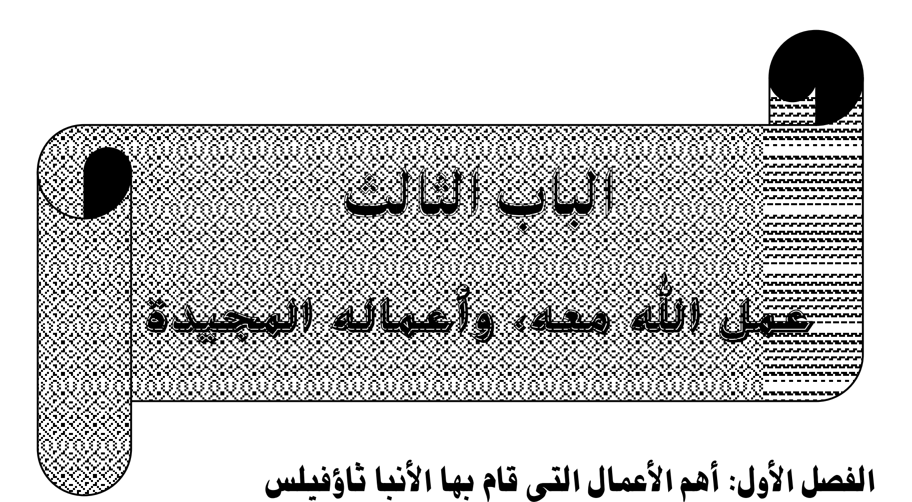
- الراهب يشبه لوح الزجاج (البللور)، لو انكسر لا يمكن تصليحه.
- القمص والقسيس فوق رأسى، والراهب داخل قلبى، والأخ فى عينىَّ.
- معدة الإنسان مثل البالون، كلما تملأها أكثر تنتفخ وتتسع أكثر، وكلما تقلل فيما تعطيها، فإنها تنكمش وتضيق.
- كان يدعو الله دائماً قائلاً (يا حنيِّن يارب)، وكان يقول (يا فرج الله).

ومن القصص الظريفة فى هذه الجزئية، أنه حينما رُسم أسقفاً لدير السريان، وأراد أن يعيِّن شخصاً كخادم لاحتياجات مقر الدير (العزباوية)، كان اسم ذلك الشخص " إسحق "، فاشترط عليه نيافته أن يغيِّر اسمه إلى " فرج "، فوافق ذلك الإنسان، وظل معروفاً بين الجميع باسم " فرج " إلى وقت نياحته.

✥ كان نيافته ينصح دائماً بفضيلة طول البال، فيقول " طولة البال تهدّ الجبال ".

✥ كان يردد نيافته دائماً هذا القول " صلاة نـــصف الليـــل بركة لنا، وتحمينا من الشيطان ".

✥ احلب الضرع يعطيك لبناً، اضغط عليه يعطيك دماً.



الفصل الأول: أهم الأعمال التى قام بها الأنبا ثاؤفيلس

الفصل الثانى: أحداث تكشف عن قداسته

الفصل الثالث: تقدير كبار الشخصيات لنيافته

الفصل الرابع: الأنبا ثاؤفيلس ودير السريان فى كتابات البابا شنوده الثالث

الفصل الأول

أهم الأعمال التى قام بها الأنبا ثاؤفيلس

١ — احتضان الشباب الجامعى وخدام مدارس الأحد
٢ — فتح دير السريان للشبان فى أسبوع الآلام
٣ — إدخال مطبعة إلى الدير
٤ — بناء بيت خلوة للشبان
٥ — بناء عمارة قلالى للرهبان
٦ — بناء قلالى منفردة
٧ — بناء صهريج للمياه
٨ — بناء منارات عالية للدير
٩ — تشييد مبنى الضيافة
١٠ — توسيع المكتبة الاستعارية
١١ — استصلاح الأراضى الصحراوية وزراعتها
١٢ — إنشاء صرف صحى بالدير الأثرى
١٣ — الاهتمام بمقر الدير (العزباوية)
١٤ — شراء وبناء عمارات كأوقاف للدير
١٥ — النهوض الشامل بديره
١٦ — الاهتمام بدير الأنبا بيشوى

١٧ — دور الأنبا ثاؤفيلس ورهبان دير السريان فى تعمير دير مار مينا بمريوط

الفصل الأول

أهم الأعمال التى قام بها الأنبا ثاؤفيلس

مقدمة

لقد مرت الكنيسة القبطية بفترة صعبة منذ نهاية القرن التاسع عشر، ولكن الله الحنون لا ينسى كنيسته، فأرسل بعض الشخصيات العظيمة، التى ساهمت فى إعادة النهضة الروحية إلى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

وجميعنا يشعر الآن بالنهضة الفائقة، التى يقوم بها قداسة البابا شنودة الثالث أطال الله حياته، وهى امتداد لما قامت به أهم ثلاث شخصيات فى بداية القرن العشرين، حيث تجددت النهضة فى الكنيسة عموماً، وفى مدارس الأحد، وفى الرهبنة القبطية، على يد ثلاثة رجال عظماء وهم:

(أ) الأرشيدياكون البتول حبيب جرجس:

ويعتبر الأستاذ حبيب جرجس رائد النهضة الكنسية الحديثة فى القرن العشرين، وقد كرس حياته كلها لخدمة الكنيسة وقد ساهم فى تأسيس منابع تعليم الجيل كله، فقد قام سيادته بتأسيس مدارس الأحد؛ التى ساهمت فى البناء الروحى للجيل الحديث كله، وكان سيادته عميداً للكلية الإكليريكية، وهو الذى طوّرها وجعلها فى أحسن صورة، ومن ثمار جهاداته وأمانته؛ أنه تخرج

فيها الكثيرون من الشخصيات البارزة، التى أثرت الكنيسة بعلمها وروحانيتها، وساهمت فى نمو الشعب المسيحى كله روحياً.

ومن أهم وأبرز تلاميذه:

الأستاذ نظير جيد: حالياً قداسة البابا شنوده الثالث أطال الله حياته.

الأستاذ وهيب عطاالله: المتنيح نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى.

الأستاذ سعد عزيز: المتنيح نيافة الأنبا صموئيل أسقف الخدمات.

الأستاذ وهيب زكى سوريال: المتنيح القمص صليب سوريال (من كهنة الجيزة). وغيرهم كثيرون.

(ب) القمص مينا المتوحد (المتنيح قداسة البابا كيرلس السادس البابا الـ١١٦:

وكان اسمه عازر يوسف عطا، وترهب فى دير البرموس العامر، ثم توحد بمغارة تبعد حوالى ٢ كم، ثم توحد فى الطاحونة فى مصر القديمة، واحتضن شباب مدارس الأحد سواء كانوا خداماً أو مخدومين، وعلمهم الروحانية ومحبة الله الصادقة (فترهب منهم الكثيرون)، لأنه كان مثالاً عملياً فى العبادة ومحبة الله، وهناك أيضاً أنشا بيتاً للطلبة المغتربين، كما كان أب

اعتراف ومدبر للكثيرين من شباب مدارس الأحد (من أهمهـــم وأبرزهم الشخصيات التى ذكرناها فى البند السابق)، ثم رُســـم بطريركاً للكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى ١٠ / ٥ / ١٩٥٩م، وخدم كنيسته وشعبه بأمانة وعلم شعبه محبة الصلاة وحـــضور القداسات، فزادت علاقتهم بالله، وتنـــيح قداســـته فى ٩ / ٣ / ١٩٧١م.

(جـ) نيافة الأنبا ثاؤفيلس :

حينما رُسم القمص ثاؤفيلس السريانى أســـقفاً علـــى ديـــر السريان باسم الأنبا ثاؤفيلس، فتح باب الدير لقبول الجـــامعيين وخدام مدارس الأحد، ويُعتبر نيافته أول من احتضن الجـــامعيين وخدام مدارس الأحد.

وقد تحمل نيافته فى سبيل ذلك مصاعب كثيرة، وصـــلت إلى حد التهديد من إخوته الأساقفة فى المجمع المقدس، ولكن نيافتـــه كانت له النظرة البعيدة العميقة، ففى اقتناع أصر على قبولهم فى ديره، محتملاً كل تبعات ذلك القرار، وقد أصبح منهم أســـاقفة وقادة للكنيسة، ومنهم أيضاً قداسة البابا شنوده الثالث.

إذاً أول عمل من أعمال نيافة الأنبا ثاؤفيلس هو:

(١) احتضان الشباب الجامعى وخدام مدارس الأحد

حينما أصبح نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقفاً ورئيساً لدير السريان،

فإن نيافته رغب أن ينهض بديره رهبانياً، ذلك لأن نيافته كـــان يتمتع برؤية بعيدة ثاقبة.

ولما كان يوجد بالدير عدد قليل من الرهبان، أراد نيافتـــه أن يعمره، بنخبة من خدام مدارس الأحد والشبان الجامعيين المثقفين ففتح ديره لهم.

دور القمص مينا المتوحد (البابا كيرلس السادس) :

كان القمص مينا المتوحد موجوداً بمصر القديمة كما ذكرنـــا آنفاً، وكان لديه مجموعة من الشباب الجامعى وخدام مـــدارس الأحد، يتتلمذون على يديه ويرتوون من نبع تعاليمه وروحانيته.

وقد كان القمص مينا المتوحد رئيساً على دير الأنبا صموئيل أيضاً وهو فى مصر القديمة، فقام قدسه برهبنة بعـــض الـــشبان الجامعيين – من خدام مدارس الأحد – على دير الأنبا صموئيل المعترف، منهم الأستاذ سعد عزيز (ودعاه الراهـــب مكـــارى الصموئيلى)، والدكتور يوسف أمين إسكندر (ودعاه الراهب متى الصموئيلى).

وفى تلك الآونة أعلن المجمـــع المقـــدس للكنيـــسة القبطيـــة الأرثوذكسية، عن الأديرة القبطية العامرة التى يعترف بها المجمـــع المقدس، ولم يذكر ضمنها دير الأنبا صموئيل المعترف.

الراهب مكارى الصموئيلى :

وإزاء ما حدث، وحيث كان الدكتور كمـــال رزق وهــو الطبيب الخاص لقداسة البابا يوســاب الثــانى (البطريـــرك ال ١١٥)، وكان ابن أخته هو الراهب مكارى الصموئيلى، فطلب سيادته من قداسة البابا يوساب الثانى أن يُلحق ابن أخته بأحـــد الأديرة العامرة المعترف بها.

وفى نفس الوقت طلب نيافة الأنبا ثاؤفيلس من القمص مينـــا المتوحد، أن يرسل له بعضاً من تلاميذه ليترهبوا فى دير السريان، فكان أول من فكر أن يرسله هو الراهب مكارى الصموئيلى.

وفى نفس التوقيت نصح البابا يوساب الثانى، الدكتور كمال رزق أن يرسل ابن أخته (الراهب مكارى الـــصموئيلى)، إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس ليأخذه إلى دير السريان.

فذهب الدكتور كمال إلى مقر دير السريان (العزباويـــة)، وتقابل مع نيافة الأنبا ثاؤفيلس، وعرض عليه كلام قداسة البابا، فوافق فى الحال، وأعطاه كارتاً لأمين الدير، به توصـــية بقبـــول الراهب مكارى الصموئيلى فى دير السريان.

وفعلاً قبله أمين الدير، وبعد فترة قام نيافة الأنبـــا ثـــاؤفيلس بتغيير شكل الراهب مكارى الصموئيلى، حيث رسمه قساً باسم الراهب القس مكارى السريانى.

فلما رأى نيافة الأنبا ثاؤفيلس أن الراهب القس مكـــارى ذا ثقافة وروحانية ونشاط، أسند إليه الإشراف على مكتبـــة ديـــر السريان العامر الاستعارية، ثم أحضر نيافته مطبعة، وكان القس مكارى يُعد نبذات روحية وميامر ويتم طباعتها وتوزيعها مجانـــاً على الكنائس فى أعياد الميلاد والغطاس والقيامة.

وظل أبونا مكارى هكذا إلى أن نزل إلى الخدمة مـــع البابـــا كيرلس السادس، وكان حينئذ قد ترهب الأستاذ نظير جيـــد، وسُمى الراهب أنطونيوس السريانى (وهو حالياً قداسة البابـــا شنوده الثالث)، فقام نيافة الأنبا ثـــاؤفيلس بإســـناد المكتبـــة الاستعارية والمخطوطات لقدسه، كما استمر أبونا أنطونيـــوس السريانى فى طباعة الميامر والكتب الرهبانية حتى عـــام ١٩٦٢م، حينما رسمه قداسة البابا كيرلس السادس أسقفاً عاماً للتعليم.

الراهب متى الصموئيلى، والأستاذ ميشيل خليل :

حينما علم الراهب متى الصموئيلى بما حدث مـــع الراهـــب مكارى الصموئيلى، ورأى استقراره فى دير الـــسريان العـــامر، طلب من أبيه الروحى القمص مينا المتوحد، أن يتـــصل بنيافـــة الأنبا ثاؤفيلس لكى يقبله هو الآخر فى دير السريان.

وبالفعل اتصل القمص مينا المتوحد بنيافة الأنبـــا ثـــاؤفيلس، ورضى أن يقبل الراهب متى الصموئيلى فى دير السريان، كما أن

القمص مينا المتوحد أرسل معه أيضاً الشاب ميشيل خليل بشاى الذى صار الراهب متياس السريانى، ثم فيما بعد نيافة الأنبا دوماديوس مطران الجيزة.

وحينما وصلا إلى دير السريان، بعد فترة قام نيافة الأنبا ثاؤفيلس برهبنة الشاب ميشيل باسم الراهب متياس السريانى، ثم غيَّر شكل الراهب متى الصموئيلى، بأن رسمه قساً باسم الراهب القس متى، ولكن كانت توجد مشكلة لأن هناك راهباً آخر بنفس الاسم هو الراهب القمص متى السريانى القناوى، ولا يتفق وجود راهبين بنفس الاسم فى نفس الدير.

فأطلق الأنبا ثاؤفيلس على القمص متى اسم متاؤس (وهو حالياً القمص متاؤس السريانى أطال الله حياته)، وأطلق على الراهب متى الصموئيلى اسم الراهب القس متى المسكين (لأنه تزامن آنذاك بالدير طباعة كتاب عن البابا متى المسكين البطريرك ٨٧)، فطلب أبونا متى الصموئيلى من الأنبا ثاؤفيلس أن يعطيه لقب " المسكين "، فوافق نيافته وأسماه الراهب القس متى المسكين.

وبعد أن انضم القس متى المسكين إلى دير السريان العامر أسند إليه الأنبا ثاؤفيلس العمل فى المطبعة مع القس مكارى السريانى. فازداد نشاطهما فى طبع الكتب الروحية وكان أهمها كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية طبعة دير السريان العامر عام

١٩٥١م واهتم بمراجعته وإضافة مقدمة لكل فصل فيه والتقديم له الأستاذ نظير جيد (حالياً قداسة البابا شنوده الثالث أطال الله حياته) قبل دخوله ورهبنته فى دير السريان فى ١٨ / ٧ / ١٩٥٤م.

توافد الشباب الجامعى بكثرة:

توافد على دير السريان أيضاً شبان جامعيون من خدام مدارس الأحد المثقفين، فقبلهم نيافة الأنبا ثاؤفيلس ورسمهم رهباناً، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

على رأسهم الشاب نظير جيد (الراهب أنطونيوس السريانى – ثم قداسة البابا شنوده الثالث أطال الله حياته).

الشاب عبد المسيح بشارة (الراهب مكاريوس السريانى – المتنيح نيافة الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف وتوابعها).

وغيرهم الكثيرون الذين وفدوا إلى دير السريان، حيث يوجد نيافة الأنبا ثاؤفيلس فاتحاً لهم قلبه قبل باب ديره، فقبلهم وعمَّر بهم الدير وأثرى بهم الكنيسة كلها.

علاقة الأنبا ثاؤفيلس بالجامعيين:

كان الأنبا ثاؤفيلس أباً للجميع، فأحب أولاده جميعاً، وأحب أولاده المثقفين من خدام مدارس الأحد، الذين ترهبوا تحت رئاسته وأبوته ومحبته، فكان يجلس معهم ويستشيرهم فى أمور

كثيرة فى الدير، وكان يسند إليهم الأعمال المهمة والتى تناسبهم وتريحهم (مبانى – زراعة حديثة – مكتبة – استقبال الزوار... إلخ).

تأثير ذلك على الأديرة الأخرى :

ازدهر دير السريان وارتفع مستواه روحياً وعمرانياً فى سنوات قليلة نتيجة دخول الجامعيين فيه، وذاعت شهرة الدير فى الأوساط الكنسية، بل وعلى مستوى السياحة، فكانت الجهات السياحية ترشد الزوار الأجانب قائلة (إذا أردتم التمتع بزيارة الأديرة، فزوروا دير السريان العامر).

ونتيجة هذا الازدهار، رجع الأساقفة الذين هاجموا الأنبا ثاؤفيلس عن رأيهم، وبدأوا يمتدحون ذكاء نيافته وبعد نظره، وبدأت باقى الأديرة تسير على منوال دير السريان العامر، لدرجة أن دير الأنبا أنطونيوس بالبرية الشرقية، أعلن فى " جريدة وطنى " ما نصه (دير الأنبا أنطونيوس يقبل رهبنة الشباب الجامعى به، ويكفل لهم الحياة الروحية).

التاريخ لن ينسى :

مهما مرت السنوات، فتاريخ الكنيسة لن ينسى ما قام به نيافة الأنبا ثاؤفيلس، بل سيظل يسجل بأحرف من النور، أن نيافته فتح دير السريان العامر لقبول خدام مدارس الأحد المثقفين

ورهبنتهم بالدير.

شهادة قداسة البابا شنوده عنه :

كتب قداسته فى مجلة الكرازة: إن الأنبا ثاؤفيلس هو أول من رهبن خداماً مثقفين من التربية الكنسية، وكان من أولاده فى الرهبنة قداسة البابا شنوده الثالث.

وقال فى كلمة قداسته أيضاً: إن الأنبا ثاؤفيلس احتضن الرهبان الجامعيين وخدام التربية الكنسية، واحتمل فى سبيل ذلك الكثير.

(٢) فتح دير السريان للشبان فى أسبوع الآلام

من الأعمال التى انتهجها نيافة الأنبا ثاؤفيلس، هى فتح دير السريان أمام الشبان ليقضوا فيه أسبوع الآلام مع نيافته والآباء الرهبان.

ويعتبر نيافته سباقاً أيضاً فى هذا المجال، فهو أول من قام بهذا العمل، مما جعل شبان وخدام مدارس الأحد يرتبطون بدير السريان، وتكون لهم علاقة حب قوية وارتباط برئيس الدير وأسقفه الذى هو نيافة الأنبا ثاؤفيلس.

ومما لا شك فيه أن الكثيرين تأثروا بالدير، وبالالتزام والدقة فى فترات البصخة وألحانها وجمال الألحان، فانجذب الكثيرون منهم للرهبنة وترهبنوا فعلاً فى دير السريان، وأيضاً أولئك الذين

ظلوا فى العالم مازالوا حتى يومنا هذا يحبون قضاء أسبوع الآلام فى دير السريان.

وفى الكلمة التى ألقاها **قداسة البابا شنوده الثالث** فى قداس الأربعين لنياحة نيافة الأنبا ثاؤفيلس قال قداسته:

" وأنا شاب ذهبت إلى دير السريان فى أسبوع الآلام لأقضيه فى الدير، وفى أول مرة كنت وحدى، وحضرت عيد القيامة، وتناولت طعام إفطار عيد القيامة مع نيافة الأنبا ثاؤفيلس، وبعد ذلك كثر عدد الشبان الذين كانوا يحضرون أسبوع الآلام، فكان مثلاً يحضر حوالى ١٢٠: ١٥٠ شاباً، إن أول دير يحدث فيه ذلك هو دير السريان العامر فى عهد رياسة المتنيح الأنبا ثاؤفيلس ".

(٣) إدخال مطبعة إلى الدير:

يعتبر الأنبا ثاؤفيلس أول من أدخل مطبعة إلى دير السريان العامر، وكان ذلك فى عام ١٩٥١م، وكان مكانها تحت شجرة مار أفرام السريانى، والذى دفع نيافته إلى ذلك هو الاستفادة من أولاده الرهبان واستفادتهم هم أنفسهم واستفادة الكنيسة كلها من ذلك:

فقد ترهب آنذاك المتنيح الراهب القمص أرمانيوس

السريانى[٤]، وقد كانت وظيفة قدسه هى الطباعة قبل دخوله إلى دير السريان.

ترهب أيضاً الآباء المثقفون الذين ذكرنا أسماءهم: (أبونا أنطونيوس، أبونا مكارى، أبونا متياس، أبونا مكاريوس)، وغيرهم من الآباء المتعلمين خدام التربية الكنسية.

ولكى يستفيد نيافته استفادة كاملة من هذه الطاقات الفائقة، جلب إلى الدير أعداداً كبيرة من الكتب والمراجع باللغات المختلفة والتى تتضمن أقوال الآباء القديسين، لتتم ترجمتها وطباعتها.

فأولاً: طبع ميامر الأعياد المختلفة (الميلاد – الغطاس – القيامة)، وكان يتم توزيعها مجاناً على كنائس القطر المصرى، كخدمة من دير السريان للشعب القبطى.

ثانياً: اهتم نيافته بنشر وطبع أقوال الآباء مستفيداً بالمخطوطات التى فى مكتبة الدير ومن ترجمة المراجع الأجنبية.

ثالثاً: اهتم بطبع عدة كتب (٥) – كانت تباع بمبالغ رمزية لتغطية تكاليفها – أهمها كتاب " الآباء الحاذقون فى العبادة "

---

(٤) أصدرنا عنه كتاباً بعنوان " راهب ناسك ".

(٥) مجلة مدارس الأحد السنة الخامسة العدد الخامس يونيو ١٩٥١م بشنس ١٦٦٧ش.

وكتاب " نسكيات القديس باسيليوس، وقوانينه " وكتاب " الثلاثة مقارات " وكتاب " حياة الصلاة الأرثوذكسية " وغيرها كثير.

ويذكر ذلك **قداسة البابا شنوده الثالث** فى كلمته عن نيافته قائلاً:

" وأول من أسس مطبعة للدير هو الأنبا ثاؤفيلس. وكنا ننشر نبذة فى كل من عيدى الميلاد والقيامة، من أقوال الآباء ومن المخطوطات الموجودة بمكتبة الدير، وكانت توزع مجاناً على الناس. إن أول من نشر أقوال الآباء هو الأنبا ثاؤفيلس، وأتذكر أن أول كتاب طبعه الدير هو كتاب " الآباء الحاذقون فى العبادة " من كتابات القديس فيلوكسينوس والقديس يوحنا الأسيوطى وآخرين، كذلك كتاب " نسكيات باسيليوس، وقوانين باسيليوس"، كذلك طبع كتاب " الثلاث مقارات " وكان نيافته يحب العلم جداً.

(٤) بناء بيت خلوة للشبان [٦]

كما علمنا أن نيافة الأنبا ثاؤفيلس كان يهتم جداً بالشبان، لأنهم قوة الكنيسة، وفى أفضل فترة من حياتهم، فلكى تنمو

(٦) مجلة مدارس الأحد السنة الثالثة عشر العدد العاشر ديسمبر ١٩٥٩م كيهك ١٦٧٦ش.

علاقتهم بالله ولا يغلبهم الشيطان والعالم، قام نيافته ببناء بيت خلوة لهم ليقضوا أوقاتاً روحية فى الدير.

ويعتبر هذا البيت هو الأول من نوعه على مستوى جميع الأديرة، ثم بعده انتشرت فكرة بناء بيوت خلوة للشبان فى باقى الأديرة الأخرى.

وكان بيت الخلوة فى دير السريان منارةً لشبان مدارس الأحد وللكثيرين من محبى الحياة الرهبانية، وكان نيافته كما ذكرنا سابقاً يذهب ليطمئن عليهم يومياً ويقرأ لهم من كتاب " بستان الرهبان " ويزودهم بالنصائح الروحية والإرشادات.

وذكر **قداسة البابا شنوده الثالث** ذلك فى مجلة الكرازة قائلاً:

" الأنبا ثاؤفيلس أول من أسس بيتاً للخلوة فى الأديرة، وكان ذلك فى عام ١٩٦٠م، وبهذا كثر إقبال الشبان على الدير، وبدأوا يقضون فيه أسبوع الآلام، ويقيمون فى الدير فترات كثيرة لنموهم الروحى ".

(٥) بناء عمارة قلالى للرهبان

أمام الأعداد الكبيرة التى وفدت على دير السريان فى عهد نيافته، أقدم نيافته على عمل جديد من نوعه، وهو بناء عمارة قلالى للرهبان تتكون من خمسة طوابق، ومازالت موجودة فى داخل الدير الأثرى.

وكان السكن قبل ذلك فى قلالى متجاورة مبنية على امتداد أجزاء من سور الدير، فكان عددها محدوداً وبالتالى لا تستوعب الأعداد القادمة إلى الدير، وهذه هى الطريقة المتبعة فى غالبية الأديرة الأثرية، ولذلك يُعتبر نيافة الأنبا ثاؤفيلس أول من أقدم على بناء عمارة متعددة الطوابق للقلالى، داخل سور الدير الأثرى لتستوعب أعداد كثيرة من الرهبان، وكان كذلك فى الستينيات من القرن العشرين.

(٦) بناء قلالى منفردة:

أحب نيافة الأنبا ثاؤفيلس – كما ذكرنا – حياة الاعتدال، أو الحياة المتوسطة التى ليس فيها تسيب وانحلال، وليس فيها تطرف أو مغالاة.

ولذلك فإن نيافته هو أول أسقف ورئيس دير يسمح للآباء الرهبان محبى الوحدة والسكون، ويشجعهم على بناء قلالى منفردة فى حديقة الدير (أى خارج أسوار الدير الأثرى).

وهذه الحياة تعتبر نصف توحد، (وحدة غير كاملة)؛ فهى تجمع بين حياة التوحد وحياة المجمع، حيث يكون للراهب بعض أيام يقضيها بالقلاية، وبعض أيام للعمل بمجمع الدير.

وبنى نيافته أول قلايتين منفردتين فى حديقة الدير تخص الرهبان الذين يشرفون على زراعات الدير وكانت إحداهما

للراهب القمص متياس السريانى (نيافة الأنبا دوماديوس مطران الجيزة الحالى) ومازالت قلايته موجودة حتى الآن، والأخرى للراهب القمص أنجيلوس السريانى[٧] نيح الله نفسه فى فردوس النعيم. بعدها توالى بناء القلالى المنفردة.

ومن الرهبان الأوائل الذين قاموا ببناء قلالى منفردة فى حديقة الدير هو الراهب أنطونيوس السريانى (قداسة البابا شنوده الثالث)، وهى مازالت موجودة قبلى أسوار الدير الأثرى، كما قام قبل بناء قلايته بالإشراف على بناء قلايتين أخرتين فى محازاة السور الفاصل بين ديرى السريان والأنبا بيشوى، إحداها يسكنها القمص متاؤس السريانى والأخرى يسكنها القمص فلتاؤس السريانى (أطال الله حياتهما).

ولما نجحت فكرة هذه القلالى المنفردة وأثبتت نجاحاً كبيراً، أخذت تتزايد بالتدريج، حتى تم بناء عدد كبير من القلالى المنفردة فى حديقة الدير، ونتيجة لازدحام الحديقة بها، قامت الأجيال الحالية ببناء قلالى على مسافات بعيدة من الدير، فى الأراضى المسجلة رسمياً والمتعارف عليها والتى بنعمة الله أحيطت بسور كبير جداً منذ حوالى عامين فقط.

ونظراً لنجاح فكرة القلالى المنفردة، انتقلت الفكرة من دير

[٧] أصدرنا له كتاب باسم " ملاك من السماء "

السريان إلى الأديرة الأخرى وانتشرت بسرعة بين الرهبان محبى الوحدة والسكون.

(٧) بناء صهريج للمياه:

كان الأنبا ثاؤفيلس هو أول من شيد صهريجاً لتخزين مياه الشرب التى يتم رفعها داخله من بئر ارتوازى عن طريق موتور، ثم يتم توزيعها خلال مواسير المياه على الجهات المختلفة، وهذا الصهريج مازال موجوداً داخل أسوار الدير الأثرى أيضاً، وقد أشرف على بنائه الراهب موسى السريانى (المتنيح نيافة الأنبا أندراوس أسقف دمياط) لأنه كان مهندساً مدنياً قبل الرهبنة.

(٨) بناء منارات عالية للدير:

شيد نيافة الأنبا ثاؤفيلس منارتين عاليتين داخل أسوار الدير الأثرى، يراهما القادم من الرست هاوس إلى الدير، وأصبحت من العلامات المميزة لدير السريان، وتعتبران أول منارات خرسانية يتم بناؤها على مستوى الأديرة كلها.

وقام نيافته ببناء مقبرة خاصة به أسفل إحداهما، وتم دفنه أسفلها بعد نياحته.

(٩) تشييد مبنى للضيافة:

كان يوجد فى وسط الدير الأثرى تقريباً مبنى قديم يسمى " القصر القديم "، فقام نيافته بهدمه، وشيد مكانه مبنى آخر كبيراً

مكوناً من أربعة ادوار لاستخدامات الدير المختلفة، وأهمها الدور الأول الذى يتم استقبال الزوار فيه، والدور الثالث يتم استضافة ومبيت كبار الزوار (من الرجال فقط) فيه.

(١٠) توسيع المكتبة الاستعارية:

خصص نيافة الأنبا ثاؤفيلس الدور الثانى من مبنى الضيافة السابق ذكره، كمكان كبير مفتوح (بلا حوائط كثيرة) لتكون فيه مكتبة الدير، وأعد دواليب كبيرة جديدة للكتب وللمخطوطات، وكما ذكرنا أن نيافته أحضر مجموعات كبيرة جداً من الكتب والمراجع الأجنبية والمصرية المختلفة لإثراء مكتبة الدير بها، واهتم نيافته بفهرسة المكتبة فهرسة دقيقة وسليمة وبطريقة علمية، ويعتبر أكثر مُنْ تعبوا فى ذلك هو الراهب أنطونيوس السريانى (قداسة البابا شنوده الثالث)، الذى يسير الجميع على خطواته التى بدأها قداسته فى تنظيم مكتبة دير السريان، حتى أصبحت ذات شهرة عالمية، وتعد من أكبر مكتبات الأديرة القبطية وبها قسم رائع كبير للمخطوطات فقط بعد ترميمها وتجليدها.

(١١) استصلاح الأراضى الصحراوية وزراعتها:

ويقول فى ذلك **قداسة البابا شنوده الثالث:**

" إن الأنبا ثاؤفيلس هو أول من عمر الصحراء قبل أن تبدأ

الدولة فى تعمير الصحراء، فقد ابتدأ يعمر الصحراء وهو وكيل للدير قبل أن يصير رئيساً له عام ١٩٤٨م، ولذلك كان المسئولون فى الدولة عن تعمير الصحراء – مثل الأستاذ صلاح هدايت – يقولون نحن تعلمنا منكم تعمير الصحراء، لقد كان الأنبا ثاؤفيلس أول من وسَّع الدير وعمل مزرعة كبيرة تزيد عن ٧٠ فداناً ".

(١٢) إنشاء صرف صحى بالدير الأثرى:

اهتم نيافة الأنبا ثاؤفيلس بإنشاء شبكة الصرف الصحى داخل أسوار الدير الأثرى، ويعتبر نيافته أول من فكر ونفذ هذه الفكرة فى دير السريان، ذلك لأن قبل إنشاء الصرف الصحى كانت هناك مشاكل كثيرة، ولكن نيافته بذكائه ونشاطه عالجها بأفضل أسلوب حضارى.

(١٣) الاهتمام بمقر الدير (العزباوية)

كان مبنى مقر الدير بالقاهرة (العزباوية) قديماً متهالكاً، فاهتم نيافته بترميمه حتى لا يسقط، هذا من الناحية العمرانية، ومن الناحية الخدمية، قام نيافته بتنظيم القداسات هناك بالتدريج إلى أن صارت يومياً تقريباً، حتى أخذت (العزباوية) شهرة كبيرة، وانجذب إليها الكثيرون من سكان وسط القاهرة وغيرهم، فصارت ميناء خلاص لكل مَنْ زارها.

(١٤) شراء وبناء عمارات كأوقاف للدير

ويقول عن هذا الموضوع **قداسة البابا شنوده الثالث** (فى مجلة الكرازة):

" كان الأنبا ثاؤفيلس نشيطاً جداً يحب التعمير، وقد بنى للدير عمارات كثيرة فى الأزبكية وجاردن سيتى، كما عمر مقر الدير الكائن فى الدرب الإبراهيمى بالقاهرة ".

وقال أيضاً قداسته فى الكلمة التى ألقاها فى قداس ذكرى الأربعين لنياحة الأنبا ثاؤفيلس:

" نيافة الأنبا ثاؤفيلس عمَّر فى الدير، وعمَّر فى القاهرة عمارات كثيرة، فى شارع صفية زغلول، وفى شارع كلوت بك، وفى العزباوية نفسها كان يفرح بأن يبنى أو يشترى عمارة للدير ".

(١٥) النهوض الشامل بديره

منذ أن صار الأنبا ثاؤفيلس أسقفاً ورئيساً لدير السريان، وضع أمام عينيه هدفاً واضحاً، وهو أن ينهض بديره ويجعله أفضل الأديرة فى جميع الجهات (رهبانياً، وعمرانياً، وزراعياً.. إلخ).

واستطاع أن يحقق ذلك بنعمة الله وبجهده الدءوب، حيث أن

الخطوة الأولى التى قام بها كما ذكرنا هى اختيار رهبان من الشبان المثقفين خدام مدارس الأحد. كما أن نيافته كان يؤمن أن دير السريان لن يصبح أفضل الأديرة إلا بأن يكون رهبانه قديسين فعلاً، فعمل نيافته على تهيئة الجو الروحى الملائم لنمو أبنائه الرهبان روحياً بدرجة كبيرة.

وكان نيافته يحب ديره بشدة، ويحرص على سمعة الدير لتكون حسنة فى جميع الأوساط، ولذلك كان نيافته دائماً — فى مجالسه مع العلمانيين - يتحدث عن فضائل رهبانه وعظمتهم الروحية، ورأينا أيضاً كيفية تصرفه بحكمة فى حالة حدوث مشكلة بين راهب وعلمانى، فكان يدافع عن ابنه أمام الناس، ويؤدبه بحكمة بينه وبين نفسه إلى أن يتوب ويصبح فاضلاً.

وبهذه النهضة الروحية، وإلى جوارها النهضة الزراعية، والنهضة المعمارية استطاع نيافة الأنبا ثاؤفيلس أن ينهض بدير السريان ويجعله أفضل وأشهر أديرة الكرازة المرقسية كلها، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

(أ) اختيار قداسة البابا شنوده الثالث ليجلس على عرش مار مرقس الرسول، وقداسته من رهبان دير السريان (الراهب أنطونيوس السريانى).

(ب) اختيار عدد كبير من رهبان دير السريان لرسامتهم أساقفة لخدمة الكرازة المرقسية (حوالى ثلث المجمع المقدس

آنذاك)، حيث أصبح عددهم حتى سنة نياحة الأنبا ثاؤفيلس ١٨ أسقفاً، ونحن نتذكر أن نيافته حينما رُسم أسقفاً كان هو الأسقف الوحيد من دير السريان فى المجمع المقدس.

(جـ) تم اختيار عدد لا باس به من رهبان دير السريان ليصيروا رؤساء على بعض الأديرة أو للإشراف عليها ومنهم:

١ — نيافة الأنبا صرابامون أسقف ورئيس دير الأنبا بيشوى.
٢ — نيافة الأنبا هدرا أسقف ورئيس دير الأنبا باخوميوس (وأسقف أسوان).
٣ — المتنيح نيافة الأنبا أغاثون أسقف ورئيس دير الأنبا بولا (وأسقف الإسماعيلية) والمشرف والناظر على دير المحرق.
٤ — نيافة الأنبا أرسانيوس (أسقف المنيا) الذى أشرف على دير البرموس لفترة كبيرة.
٥ — نيافة الأنبا بيشوى (مطران دمياط) ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس.
٦ — المتنيح نيافة الأنبا بموا الذى أنشأ دير مار جرجس الخطاطبة وصار رئيساً عليه.

٧ — القمص متى المسكين ومجموعة معه قاموا بتعمير دير أبو مقار وكانت رهبنتهم أولاً فى دير السريان على يد الأنبا ثاؤفيلس.

٨ — القمص فلتاؤس السريانى والقمص أنجيلوس السريانى والقمص مرقس السريانى أول من ذهبوا لتعمير دير مار مينا وعاشوا فيه فترة إذ كان لكل منهم قلاية خاصة فى دير مار مينا إلى أن رسم البابا كيرلس رهبان على الدير وعين أبونا مينا أڤا مينا رئيس على الدير (المتنيح الأنبا مينا).

٩ — معظم رؤساء باقى الأديرة كانوا يترددون على دير السريان وهم شبان قبل رهبنتهم فى أديرة أخرى.

(د) اختيار آباء اعتراف لكل أديرة الراهبات، من رهبان دير السريان وهم على التوالى:

١ — القمص ثاؤفيلس السريانى قبل رسامته أسقفاً لدير السريان.

٢ — المتنيح الراهب القمص ديونسيوس السريانى.

٣ - المتنيح الراهب القمص أنجيلوس السريانى.

٤ - المتنيح الراهب القمص أثناسيوس السريانى.

٥ — الراهب القمص موسى السريانى (حالياً الأنبا أثناسيوس أسقف بنى مزار).

(١٦) الاهتمام بدير الأنبا بيشوى

يعتبر نيافة الأنبا ثاؤفيلس ليس أباً لرهبان دير السريان فقط ولكنه كان أباً لجميع رهبان القرن العشرين، وهنا نذكر أبوته لرهبان دير الأنبا بيشوى المجاور لدير السريان بوادى النطرون.

فلقد مر دير الأنبا بيشوى بضائقة مالية شديدة، حيث بسببها تراكمت الديون على دير الأنبا بيشوى، ولم يقدر الأنبا باسيليوس [٨] (الذى كان رئيساً على دير الأنبا بيشوى) أن يقوم بتسديد الديون ولا الإنفاق على رهبان الدير، مما جعله يستقيل ويعتذر عن رئاسة الدير.

ونتيجة لذلك أسند قداسة البابا كيرلس السادس إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف ورئيس دير السريان، الإشراف على دير الأنبا بيشوى والاهتمام به، وكان ذلك فى بداية عام ١٩٦١م، وظل نيافته مشرفاً عليه لمدة عشر سنوات، حيث تسلمه قداسة البابا شنوده الثالث عام ١٩٧١م، ثم رسم نيافة الأنبا صرابامون وسلمه دير الأنبا بيشوى فيما بعد.

---

[٨] الأنبا باسيليوس كان رئيساً لدير الأنبا بيشوى، واستقال حينما ضاقت به الحال، وتنيح بعد استقالته بعام واحد فقط (حوالى أواخر عام ١٩٦١م)، وكان أخوه بالجسد رئيساً على دير أبى مقار، وأخته بالجسد رئيسة على دير للراهبات.

وخلال فترة العشر سنوات هذه:

١ – قام الأنبا ثاؤفيلس بتسديد جميع ديون دير الأنبا بيشوى.

٢ – قام نيافته بالإنفاق على رهبان دير الأنبا بيشوى، وكـــان يرسل إليهم جميع احتياجاتهم من ملابـــس وغـــذاء ودواء وخلافه.

٣ – اهتم نيافته بتعمير الدير رهبانياً، فقام برهبنة بعض الإخوة للدير، ومنهم مَنْ يعيش حتى يومنا هذا مثل أبونا أنسيموس (الأنبا ويصا أسقف البلينا)، والراهب القمص يـــسطس الأنبا بيشوى .... وغيرهما.

٤ – قام نيافته بالنهوض بالدير عمرانياً، كما اهتم نيافته بترميم جزء من السور الأثرى لدير الأنبا بيشوى.

٥ – اهتم نيافته بتجهيز مقصورة جديدة تحمل جسد القـــديس الأنبا بيشوى، وهى التى مازالـــت موجـــودة حـــتى الآن، ومكتوب أعلاها أنها صُنعت فى عهد الأنبا ثاؤفيلس أسقف ورئيس دير السريان العامر ودشنت بيد الأنبا ثاؤفيلس ومعه الأنبا شنوده أسقف التعليم (حالياً قداسة البابـــا شـــنوده الثالث أطال الله حياته) فى ١٠ مارس عام ١٩٦٨م.

٦ – اهتم نيافته بإنشاء بيت خلوة للشبان فى دير الأنبا بيشوى.

٧ – اهتم نيافته بتنظيم الحياة الرهبانية داخل دير الأنبا بيشوى.

ويقول فى ذلك **قداسة البابا شنوده الثالث** فى كلمته الـــتى ألقاها فى قداس ذكرى الأربعين لنياحة الأنبا ثاؤفيلس:

" وحدث لما أفلس دير الأنبا بيشوى، وأعلن رئيـــسه الأنبـــا باسيليوس، أنه غير قادر أن يصرف على الدير، وكان ذلـــك فى أواخر عام ١٩٦٠م وأوائل عام ١٩٦١م، أن تولى نيافة الأنبـــا ثاؤفيلس الإنفاق على دير الأنبا بيشوى، وسدد جميع ديونـــه، وظل ينفق عليه حتى توليت أنا المسئولية، واستلمت دير الأنبـــا بيشوى ".

وكتب قداسته فى مجلة الكرازة :

" واعتنى نيافة الأنبا ثاؤفيلس بدير الأنبا بيشوى وكان يصرف عليه من سنة ١٩٦١م ولمدة عشر سنوات ويسدد ديونه".

(١٧) تعمير دير مار مينا :

دور الأنبا ثاؤفيلس ورهبان دير السريان فى تعمير دير مار مينا بمريوط

كان لنيافة الأنبا ثاؤفيلس ورهبان دير السريان الدور الرئيسى فى اكتشاف دير مار مينا العجائبى بمريوط وتعمـــيره، وســـوف نتتبع هنا كل شيء من الأول بكل تدقيق:

رغبة القمص مينا المتوحد :

كما ذكرنا أن الكثيرين من أولاد أبينا مينا المتوحـــد، قـــد

صاروا رهباناً فى دير السريان، فمن أجل هذا أرسل أبونا القمص مينا المتوحد فى عام ١٩٥٧م إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس ورهبان دير السريان، طالباً منهم البحث عن موقع دير مار مينا العجائبى الأثرى بمريوط، بهدف إعادة تعميره، وكان من الطبيعى أن يطلب قدسه هذا الطلب، لأننا جميعاً نعرف العلاقة الوطيدة بين الأب القمص مينا المتوحد (قداسة البابا كيرلس السادس) والشهيد العظيم مار مينا العجائبى.

بداية العمل :

لما سنحت الفرصة، استأذن الآباء الرهبان من نيافة الأنبا ثاؤفيلس رئيس الدير، واستقلوا السيارة الچيب الخاصة بالدير، وخرجوا يبحثون عن موقع دير مار مينا بمريوط، وظلوا يبحثون لمدة يومين كاملين، إلى أن أرشدهم الله إلى الدير الأثرى لمار مينا (وكانت فقط آثار أو أطلال الدير هى التى مازالت باقية)، وكان يوجد مبنى مهمل خاص بمصلحة الآثار.

وبعد الاكتشاف عاد الآباء فرحين، وأخبروا نيافة الأنبا ثاؤفيلس رئيس دير السريان بما حدث، ففرح وهنأهم بالاكتشاف وبسلامة عودتهم إلى الدير، وأرسل نيافته والآباء الرهبان ليخبروا أبانا القمص مينا المتوحد بما حدث، ففرح جداً وهنأهم وشكرهم على تعبهم.

فكرة صلاة القداس الإلهى هناك فى عيد مار مينا :

عرض الآباء الرهبان على نيافة الأنبا ثاؤفيلس فكرة الذهاب إلى دير مار مينا الأثرى بمريوط، فى عيد القديس مار مينا (١٥ هاتور)، بهدف إقامة قداس إلهى احتفالاً بالاكتشاف، حيث تكون الصلاة فى الهواء الطلق، على أطلال الدير الأثرى.

فوافق نيافته على رغبتهم ووعدهم بذهابه هو أيضاً إلى هناك، وفى صباح يوم ٢٤ / ١١ / ١٩٥٧م، تحرك موكب الآباء الرهبان (وكان عددهم ٩ تقريباً) [كان أحدهم الراهب أنطونيوس السريانى – قداسة البابا شنوده الثالث]، مستقلين السيارة الچيب الخاصة بدير السريان، متوجهين إلى الدير الأثرى لمار مينا.

إعداد احتياجات الرحلة :

لم ينس الآباء الرهبان أن يأخذوا معهم فى السيارة الچيب جميع ما سيحتاجونه فى الرحلة للذهاب والصلاة ثم العودة.

فأخذوا معهم فرناً من الصاج لأجل خبز القربان، وأخذوا الدقيق والخميرة.

أخذوا الكتب الطقسية اللازمة (أبصلمودية – قطماروس – أجابى – خولاجى ... إلخ).

أخذوا وابور جاز لأجل احتياجات الطعام والشراب.

أخذوا الأطعمة اللازمة، ومنها الفطارى لأجل رفاع صوم

الميلاد، لأن عيد مار مينا يكون فى رفاع صوم الميلاد، وكـذلك الطعام الصيامى الذى سيحتاجونه فى عودتهم حيث يكون الصوم قد بدأ.

أخذوا أيضاً الأطباق والأكواب ومصابيح الهواء (الفوانيس)، ووضعوا كل شىء فى أكياس وعلقوه فى العربة الچيب.

لم ينسوا أيضاً أن يأخذوا المياه النقية للشرب (٣ بستلات)، ملأوها من منطقة الرست هاوس فى طريق ذهابهم، إذ قد كانت مياه تلك المنطقة هى أنقى وأفضل المياه آنذاك.

موكب الأنبا ثاؤفيلس :

فى صباح نفس اليوم تحرك موكب آخر من القاهرة متجهاً إلى نفس المكان، يضم الأنبا ثاؤفيلس رئيس دير السريان، والقمص تيموثاوس السريانى الذى كان وكيلاً للدير بمقره بالعزباوية فى القاهرة، ورافقهما مجموعة مكونة من تسع شمامسة من جمعية نهضة الكنائس، وأخذوا معهم اللوح المقدس وأوانى الخدمة الخاصة بالقداس الإلهى، وسجاجيد لأجل فرشها فى أرضية الدير الأثرى أثناء الصلاة، وأخذوا معهم بعض الأطعمة كالسمك وبعض الفواكه، وأخذوا كل هذا واستقلوا الأتوبيس الصحراوى (مصر – إسكندرية)، إلى أن وصلوا الكيلو ٤٧، وهناك نزلوا جميعاً وتلاقوا مع آباء دير السريان الذين سبقوهم وانتظروهم فى نفس المكان المتفق عليه.

حادث بلا خسائر :

ركب الجميع فى السيارة الچيب الخاصة بالدير، متوجهين فى طريقهم عبر الصحراء، إلى المنطقة الأثرية الموجود فيها دير مار مينا العجائبى بمريوط، وأثناء سيرهم حدث أمر مفاجىء وعجيب، فقد انقلبت السيارة ثم عادت إلى وضعها الأصلى دون حدوث أى ضرر سوى ارتطام بسيط فى صدر أحد الشمامسة واسمه تادرس روفائيل (رُسم فيما بعد كاهناً على الكنيسة المرقسية بالأزبكية واسمه القس تادرس روفائيل)، كما وقعت البطارية على ملابس وقدمى الأنبا ثاؤفيلس (الذى كان فى المقعد الأمامى) دون أى ضرر.

فنزل الجميع واطمأنوا على سلامة بعضهم البعض، فشكروا الله وقديسه مار مينا العجائبى على سلامتهم ونجاتهم جميعاً بلا أى ضرر لأحد، والأمر العجيب أيضاً أنهم ظنوا أن السيارة لن تسير مرة أخرى، ولكنهم حاولوا إعادة تشغيلها فوجدوها تعمل وتسير بكفاءة وكأن لا شىء قد حدث، فأكملوا مسيرتهم بها إلى دير مار مينا الأثرى.

الوصول والاستراحة، وصلاة التسبحة على أرض الدير :

بعدما وصلوا بسلامة الله إلى الدير الأثرى لمار مينا، صلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس صلاة الشكر، ثم استراح الجميع فى المبنى

الخاص بهيئة الآثار، ولما حان الليل استيقظ الجميع وقاموا بتأدية صلوات التسبحة على ضوء الشموع فى جو خاشع مملوء بالروحانية.

خبز القربان:

أثناء صلوات التسبحة قام أحد الآباء بعجن الدقيق لأجل خبز القربان، وتركه يختمر وذهب يكمل صلوات التسبحة مع إخوته الرهبان، وبعدما اختمر ذهب ليخبزه، وأعد الفرن الصاج، ولكنه بدأ يبحث عن بعض الأخشاب ليوقد بها الفرن فلم يجد، فأخبر إخوته الرهبان، فخرج معه بعضهم وبحثوا فى المنطقة المحيطة بالدير، فلم يجدوا ولا عود يابس واحد ولا شجرة جافة إطلاقاً، فتحيروا ورفعوا قلوبهم طالبين الإرشاد الإلهى فأرشد الله القمص بيشاى السريانى إلى وجود عصاة نخيل (جريدة) فى السيارة الجيب، كان أحد الآباء الرهبان قد أخذها كبركة من الأب عبد المسيح الحبشى، فى الأحد السابق أثناء زيارتهم لقدسه، ونسى أن يأخذها إلى قلايته بعد ذلك.

فقاموا بتكسير هذه العصاة إلى قطع صغيرة، ثم أوقدوها وخبزوا الثلاث قربانات الخاصة بالقداس الإلهى.

إقامة القداس الإلهى:

قام نيافة الأنبا ثاؤفيلس بتأدية صلاة القداس الإلهى بالاشتراك

مع الآباء الرهبان وشمامسة جمعية نهضة الكنائس، وكان هذا هو أول قداسٍ إلهى يُقام على المذبح الأثرى بدير مار مينا، وكان الجو مملوءاً بالرهبة والروحانية والخشوع، فقد كانت الصلاة على ضوء الشموع، وكانوا يضيئون مصابيح الهواء (الفوانيس) أيضاً، ولم تكن هناك حوائط ولا سقف، بل كانت السماء هى القبة التى تظللهم، والقمر والنجوم يمثلون القديسة مريم والنجوم والسحابة السمائية المضيئة من القديسين.

وتناول الجميع من الأسرار الإلهية وصاروا فرحين جداً بهذه النعمة، وانتهى القداس الإلهى قبل طلوع الشمس.

ونذكر بعض أسماء الآباء الذين رافقوا الأنبا ثاؤفيلس فى أول قداس بدير مار مينا الأثرى:

١ — أبونا أنطونيوس السريانى (قداسة البابا شنوده الثالث).
٢ — أبونا متياس السريانى (نيافة الأنبا دوماديوس مطران الجيزة).
٣ — أبونا تاوضروس السريانى.
٤ — أبونا تيموثاوس السريانى (تنيح).
٥ - أبونا أغابيوس السريانى (تنيح).
٦ - أبونا يوسف السريانى (تنيح).
٧ - أبونا بيشاى السريانى (تنيح).

البابا البطريرك الجديد ودير مار مينا:

ظل آباء دير السريان يقيمون القداس الإلهى كل عام فى عيد

مار مينا العجائبى على المذبح الأثرى بدير مار مينا بمريـــوط، إلى أن رُسم القمص مينا المتوحد بطريركاً عـــام ١٩٥٩م (باســـم قداسة البابا كيرلس السادس)، وهنا زادت عنايتـــه واهتمامـــه بتأسيس دير جديد لمار مينا بجوار الدير الأثرى بمريوط، فاشترى قداسته خمسة عشر فداناً فى تلك المنطقة وسجلها رسمياً، وبـــدأ ببناء سور لها ثم أسس دير مار مينا الحديث، وبنى أول كنيـــسة صغيرة هناك باسم الشهيد العظيم مار مينا، وأنشأ بضعة قـــلالى للرهبان، وقام قداسته بالاهتمام بزراعة بعض أجزاء من أراضى الدير، وفى هذه النهضة العمرانية طلب قداسته من نيافة الأنبـــا ثاؤفيلس أن يرسل عدة رهبان من دير السريان ليقوموا بـــتعمير دير مار مينا، فأرسل نيافته الآباء الرهبان إلى هناك نذكر منهم:

١ – أبونا متياس السريانى (نيافة الأنبا دوماديوس مطران الجيزة).

٢ – أبونا أنجيلوس السريانى (المتنيح).

٣ - أبونا مرقس السريانى (المتنيح).

٤ – أبونا فلتاؤس السريانى (أطال الله حياته).

الأنبا ثاؤفيلس مشرف على دير مار مينا :

وقد أسند قداسة البابا كيرلس الـــسادس إلى نيافـــة الأنبـــا ثاؤفيلس أسقف دير السريان، الإشراف على ديـــر مـــار مينـــا وتعميره ورعاية رهبانه، وبالفعل تعمر دير مار مينا وزاد عـــدد الرهبان الجدد به، وكان نيافة الأنبا ثاؤفيلس يهتم باحتياجـــات

الدير، ويرسل للآباء الرهبان مصاريفهم الـــشهرية، وكـــذلك الطعام والشراب اللازمين لهم، وكان نيافته يذهب إليهم مـــرة كل شهر، يقوم خلالها بافتقادهم والاطمئنان عليهم، ثم يقـــوم بتأدية صلاة القداس الإلهى فى الكنيسة الصغيرة الموجودة بالدير الحديث، ثم يعود نيافته إلى دير السريان.

ورويداً رويداً اتسع الدير وكبرت مساحته، ورسم قداســـة البابا كيرلس رهباناً كثيرين لدير مار مينا نذكر منهم:

١ – أبونا عازر آڤا مينا. ٢ – أبونا موسى آڤا مينـــا. ٣ - أبونا صموئيل آڤا مينا. ٤ - أبونا صليب آڤا مينا. ٥ - أبونـــا رافائيل آڤا مينا. ٦ - أبونا مينا آڤا مينا (الذى أســـند قداســـة البابا كيرلس إليه رئاسة دير مار مينا، وعينه وكيلاً لقداســـته فى الإسكندرية) (ثم بعد ذلك رسمه قداسة البابا شنوده الثالـــث أسقفاً لدير مار مينا، وكان بذلك أول أسقف للدير).



الفصل الثانى

أحداث تكشف عن قداسته

إن روح الله القدوس يعمل بقوة فى كنيسة الله المقدسة، وذلك من خلال رجال الله الذين يأتمنهم على قيادة كنيسته، فيمنح الروح القدس لكل منهم موهبةً ما تساعده فى الخدمة.

و لم يكن نيافة الأنبا ثاؤفيلس رجل معجزات بالمعنى الكبير لذلك، ولكنه كان أباً للرهبنة القبطية خلال القرن العشرين، وكان معلماً للجيل كله أيضاً، وقائداً لثورة تعمير الأديرة رهبانياً ومعمارياً وزراعياً.

ومع كل هذا سمح الله له ببعض الأعمال التى تبدو فائقة وتكشف عن قوة عمل الروح القدس مع نيافته، ونذكر هنا ما قد استطعنا أن نعرفه عن نيافته.

(١) بصلواته يمنح الرب نسلاً لإنسان غير مسيحى:

كان الله يعمل مع نيافة الأنبا ثاؤفيلس، ويستجيب لصلواته، حيث أن الكثيرين من زوار مقر الدير بالقاهرة (العزباوية)، كانوا يطلبون صلوات نيافته ليرزقهم الله نسلاً، وفعلاً بصلواته كان الله يمنحهم رغباتهم، ولدينا قصة حدثت لابن أحد عمال الدير القدامى:

كان يعمل فى زراعات الدير عامل أمين — غير مسيحى —

اسمه " عامر "، وظل يخدم الدير بأمانة طوال حياته، ورزقه الله ابناً، فرباه ولما كبر زوجه، ولكنه ظل فترة ليس لديه نسل.

فطلب (عامر) من سيدنا الأنبا ثاؤفيلس أن يصلى لابنه ليمنحه الله نسلاً، فحضر الابن وصلى له نيافته، ثم كلف أحد الآباء أن يكتب له فى ورقة مزمور " إن لم يبن الرب البيت .."، حيث فيه الآية " البنون ميراث من الرب، وثمرة البطن عطية منه"، وأعطى الورقة لذلك الشخص وطلب منه أن يصلى المزمور كل يوم، ودعا له ثم صرفه بسلام.

وبعدما مضى عام من هذه الواقعة، رزق الله ذلك الشخص بنسل، تماماً مثلما دعا له نيافة الأنبا ثاؤفيلس.

(٢) الفيلم محروق:

ذهب أحد الشبان (وكان أخاً لأحد رهبان الدير) إلى مقر دير السريان (العزباوية) وكانت معه خطيبته، لكى يتباركا من المكان، ويأخذا بركة نيافة الأنبا ثاؤفيلس، ثم طلب هذا الشاب أن يأخذ صورة هو وخطيبته مع نيافته، ولكن نيافته قال " لا تصور يا ابنى، لا تصور "، ولكن الشخص الذى معه الكاميرا التقط الصورة متغاضياً عن طلب نيافته، ثم بعد انتهاء الفيلم كله أرسله إلى معمل للتحميض وطبع الصور، فإذ بهم يجدون الفيلم " محروقاً " فلم تظهر به أية صورة من الصور، وهنا أدرك الجميع قوة كلام الأنبا ثاؤفيلس، وجزاء عدم الطاعة لنيافته.

(٣) يتنبأ عن رهبنة شابين:

كانت المكتبة الاستعارية للدير كائنة فى الدور الأول بعمارة القلالى داخل الدير الأثرى، وكان نيافة الأنبا ثاؤفيلس قد أسند إلى الراهب أنطونيوس السريانى (قداسة البابا شنوده الثالث) الإشراف عليها، ونظراً لمحبته للشبان، فكان يسمح لبعضهم بالمجيء إلى المكتبة بهدف الاطلاع والتثقف الروحى.

ففى عام ١٩٥٩م حدث أن زار شابان دير السريان لقضاء فترة خلوة، وأثناء تواجدهما ذهبا إلى أبونا أنطونيوس بالمكتبة، فأعطى لكل منهما مخطوطة ليقرأها، فجلسا أمام باب المكتبة على الأرض للقراءة فى المخطوطات.

وأثناء ذلك مر بهما نيافة الأنبا ثاؤفيلس، وكان مع نيافته القمص مكاريوس السريانى ربيتة الدير آنذاك (المتنيح الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف)، فبروحه الأبوية سأل نيافته أحد الشبان عما تحتويه المخطوطة التى يقرأها، فأجابه " إنها تحتوى على سيرة القديس نوفير السائح "، ففرح به نيافته وأجابه بروح الدعابة قائلاً " أكمل قراءتك، وبكرة تيجى الدير وتترهبن وأطَلَّع عينيك".

وتم بالفعل ما قاله له نيافته ليس لذلك الشاب فقط بل للآخر أيضاً، فحضرا وترهبا بالدير، وذات مرة ذكّرا نيافته بما قاله من

نبوة عن رهبنتهما، فأنكر فى اتضاع وأجاب قائلاً " أهو كـــلام يا ابنى ".

(٤) تغيير الاسم الرهبانى بعد أسبوع من الرهبنة :

اعتاد احد الشبان أن يزور دير الأنبا بولا بالبرية الـــشرقية، وكان فى يومٍ ما وبصحبته بعض الشبان يقضون فتـــرة خلـــوة هناك، ونظراً لما سمعوه عن نقاوة قلب الأب البار القمص فانوس الأنبا بولا، كان كل منهم يطلب منه أن يقول له آية أو مزمور يناسب حياته ويوضح له طريقه ومستقبله.

فلما وصل هذا الشاب إلى قدسه، قال له مباشـــرة " أنـــت هتترهبن وهيكون اسمك أبونا .... "، ففكر الشاب فى الكـــلام وبدأ يبحث فى الموضوع، فلما علم بوجود راهب بهذا الاسم فى دير الأنبا بولا، علم وتأكد أنه لن يكون ضمن رهبان دير الأنبا بولا.

فتقدم إلى دير السريان، وبالفعل قُبل فيه كأخ طالب رهبنة، وأعلم أب اعترافه فى دير السريان عما حدث له مـــع القمـــص فانوس الأنبا بولا وبالاسم الذى أعطاه له. ورجـــع إلىقلايتـــه وكتب الاسم فى المفكرة الخاصة به.

وبعد سنتين من الاختبار، قام نيافة الأنبا ثاؤفيلس برســـامته راهباً، ولكن كانت المفاجأة أنه أعطاه اسماً آخر غير ما قاله لـــه

أبونا فانوس، فتعجب وصمت.

ولكن الأعجب من ذلك، هو أنه بعد أسبوع واحد فقط من رهبنته كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس مجتمعاً مع الآباء الرهبان لتبادل التهنئة بعيد القيامة المجيد، فصرخ نيافته بصوت عال قائلاً " يـــا أبهات، إحنا ها نغير اسم أبونا ..... إلى اسم ..... " وكانـــت المفاجأة الكبرى أنه دعاه بالاسم الذى أعطاه له ســـابقاً أبونـــا القمص فانوس الأنبا بولا.

وهذا الموقف كشف لنا عن قداسة الأنبا ثـــاؤفيلس، وقـــوة الروح القدس الذى يعمل فيه ويحركه لإرادة الله الصالحة.

(٥) يخبر عما سيحدث فى الطريق للسيارة [٩] :

قصّ الأب الراهب الذى كان يقود سيارة الـــدير فى عهـــد الأنبا ثاؤفيلس، عما حدث له مع نيافته فى إحدى السفريات.

ذلك أن سيارة الدير كانت تحتاج إلى عَمرة بالموتور، فقـــام بإجرائها، وبعد ذلك قام بعمل ما يُسمَّى " التلـــيين "، ثم لمـــا وجدها جاهزة للسفر، أخبر الأنبا ثاؤفيلس بذلك، ثم اصطحب نيافته من القاهرة متجهين إلى الدير، وأثناء سيره داخل القـــاهرة (فى شارع الجلاء) سأله الأنبا ثاؤفيلس قائلاً " هـــل الـــسيارة سليمة يا ابنى ؟! "، فأجابه " نعم يا سيدنا "، فأردف نيافته قائلاً

[٩] عن كتاب كان عظيماً ص٢٥، ٢٦.

" هل أنت متأكد يا ابنى ؟! " فأجابه " نعم يا سيدنا "، فقال نيافته " السيارة ستتعطل فى السكة " فسأله الأب الراهب قائلاً " كيف هذا يا سيدنا، إنها خارجة من عمرة وتليين وفى أحسن حال "، قال نيافته له " هتشوف كلامى ".

فاستنكر الأب الراهب هذا الكلام فى داخله و لم يُعط اهتماماً له، ولكنه فوجىء قبل الوصول إلى الرست هاوس بحوالى ٢٠ كم، أن السيارة تتناقص سرعتها وقدرتها على المشى (٩٠كم/س، ٨٠، ٧٠، ٦٠) فقلق الأب الراهب وتعجب، ولكنه وجد سيدنا يبتسم ويقول له " لا تخف يا ابنى ... السيارة ستوصلنا إلى الدير ".

وظلت السيارة سائرة بقوة إلهية رغم السرعة الضعيفة لها، وتخطت بلدة الهوكارية، وسارت فى المدق، وقبل وصولهم إلى الدير بحوالى ٨كم، أصبحت سرعة السيارة ٥٠كم / س فقط، وظلت هكذا إلى أن وصلت إلى المنحنى الأسفلتى القريب من الدير، فإذ بموتور السيارة يتوقف نهائياً، وتسير السيارة بالقصور الذاتى (أى بالسرعة التى كانت عليها قبلما يتوقف الموتور)، حتى تقف تماماً أمام الباب الأثرى للدير، وهنا نرى عمل الله العجيب بصلوات نيافة الأنبا ثاؤفيلس.

فنزل سيدنا من السيارة وهو يقول " نشكر ربنا، نشكر ربنا"، ولما سحبوا السيارة (قطروها) متوجهين إلى الميكانيكى،

وجد عُطلاً خطيراً بسبب انسداد جزء من شكمان السيارة (حيث قد سقط فيه جزء من اللحام أثناء العمرة)، فكان العادم يرجع للموتور مرة أخرى، فارتفعت حرارته مما أدى إلى تعطيله، ونتيجة لذلك قاموا بعمل نصف عمرة من جديد للسيارة.

(٦) يعلم باقتراب نياحة والدته :

كانت والدة نيافة الأنبا ثاؤفيلس امرأة تقية جداً، وذات مرة بعدما رُسم نيافته أسقفاً، حضرت إلى مقر دير السريان بالقاهرة (العزباوية)، لكى تزور ابنها وتأخذ بركته، وفى نهاية الزيارة قال لها نيافته وهو يودعها " مش ها أشوفك تانى "، فغادرت المكان وهى متضايقة وفى نفس الوقت متعجبة، وتريد أن تعرف سبب كلام نيافته لها، و لم تعرف.

وقد انطلقت روحها الطاهرة فى عام ١٩٥١م فجأةً دون أن تمرض أو ترقد، وهكذا تحقق كلام نيافته فلم يعد يرى أمه ثانية فى الجسد.

(٧) يعرف بخبر وفاة والده دون أن يخبره أحد :

ظل المقدس صادق — والد الأنبا ثاؤفيلس — أرملاً بقية أيام حياته بعد وفاة والدة سيدنا، وكان من وقت إلى آخر يقوم بالسفر من المنصورة إلى القاهرة، ليزور أبناءه، فابنته كانت متزوجة بالقاهرة وتقيم فى مترل قريب من العزباوية (مقر دير

السريان).

وعندما شاخ المقدس صادق وداهمه مرض الوفاة، فضَّل أن يظل بالقاهرة لدى ابنته لكى ترعاه وتهتم به، فلما ازداد المرض عليه جداً وشعرت ابنته بدنو أجله، طلبت من ابنها الدكتور عادل باقى أن ينقل جده المقدس صادق إلى المنصورة لكى يتنيح فى بلده وسط العائلة، فنقلوه فعلاً وظلت هى بجواره هناك تخدمه فى منزل أخيها، وبعد ٢١ يوماً انطلقت روحه إلى السماء.

فقامت ابنته (والدة الدكتور عادل) بتكفينه، واتصلت بابنها الدكتور عادل وطلبت منه أن يبلغ سيدنا الأنبا ثاؤفيلس بالقاهرة ليحضروا إلى المنصورة لتشييع جنازته.

فذهب الدكتور عادل إلى مقر الدير (العزباوية) بالقاهرة، فى الساعة الخامسة فجراً لكى يبلغ سيدنا بخبر انتقال المقدس صادق والد نيافته، فلم يجد نيافته هناك، فسأل خادمه " فرج "، " أين سيدنا الأنبا ثاؤفيلس ؟ " فقال له " لقد سافر مبكراً جداً " فقال له إلى أين ؟ " قال له " لا أعرف "، فظنوا جميعاً أن نيافته سافر إلى الدير، و لم يفكروا أن يرسلوا إلى نيافته الخبر إلى الدير، لأنه لا يحب سماع أية أخبار طالما هو فى الدير.

فلما يئس الدكتور عادل من إمكانية تبليغ سيدنا بالخبر، أبلغ أفراد العائلة بالخبر، ثم سافر إلى المنصورة ليحضر جنازة جده

المقدس صادق، وكانت المفاجأة أنه وجد خاله نيافة الأنبا ثاؤفيلس هناك، رغم أن خبر الوفاة لم تعلنه والدة الدكتور عادل لأحد مطلقاً إلا لابنها الدكتور عادل، فحتى أخاها الدكتور سعد الذى حدثت الوفاة فى منزله، لم تخبره إلا مؤخراً.

فأراد الدكتور عادل أن يفهم هذا الغموض، فسأل خاله نيافة الأنبا ثاؤفيلس على انفراد قائلاً " مَنْ الذى أخبر نيافتك بوفاة المقدس صادق والد نيافتك ؟ "، فتهرب نيافته من الإجابة وقال له " أنا قلت، أذهب لأراه وأطمئن عليه ".

فى حين أن نيافته لم يكن يقوم بزيارة أحد من عائلته مطلقاً، حتى أخته المقيمة بجوار مقر الدير، ويظل الأمر غامضاً، فكيف عرف نيافته بنياحة والده وهو فى المنصورة؟!.

(٨) شفاء نيافته من مرض خطير:

فى عام ١٩٨٦م وبعد عيد العنصرة، مرض نيافة الأنبا ثاؤفيلس مرضاً شديداً، نقلوه على إثره إلى مستشفى السلام بالمهندسين، وقد اعتقد الجميع أنه سينتقل إلى السماء خلال ساعات معدودة بل إن الأطباء أعلنوا وفاته، والبعض أعدوا النعى الذى سيكتبونه فى الجرائد.

كما قام الدكتور عادل باقى ابن أخت نيافته، باصطحاب البعض فى وقت متأخر إلى الدير، لإحضار ملابس نيافته

الكهنوتية، وعادوا إلى القاهرة فجراً، واتفقوا أن يذهبوا أولاً بعد عودتهم إلى مستشفى السلام بالمهندسين، وهناك فوجئوا وفرحوا جداً أن نيافته قد تحسنت صحته بدرجة كبيرة، وقام من سرير مرضه، وكانت هذه عبارة عن معجزة بكل المقاييس، وظل الجميع يتساءلون كيف تحسنت صحة سيدنا، فعلموا أن الآباء الرهبان قد صلوا صلاةً حركت السماء، وجلبت الشفاء لنيافته.

وأخذت صحة نيافته تتحسن تدريجياً إلى أن عاد إلى صحته الطبيعية بعد فترة من الزمن.

(٩) يرى رؤيا روحية :

فى فترات مرضه التالية، كان نيافته فى حالة يُرثى لها، وكان يتم علاجه فى القاهرة، ثم يعود إلى الدير لأنه كان يحب الدير جداً.

وفى إحدى المرات وفى طريق عودتهم إلى الدير، بالقرب من الهوكارية سأل نيافته قائد السيارة وكان هو الدكتور عادل ابن أخته، " هل أنت ماشى صح يا ابنى " فأجابه " نعم يا سيدنا " فقال له نيافته " طب اسأل الراهب السائر أمام السيارة عن الطريق "، فقال له " أين هذا الراهب يا سيدنا ؟ " فقال له " ماشى قدامك ولابس صليب أبيض فى رقبته. أ لا تراه؟! " فصمت الجميع لأنهم لم يكونوا يرون أحداً فى السيارة أو فى الطريق. أما نيافته فكان يرى رؤيا روحية.

(١٠) يرى القديسين عند نياحته :

كان نيافته فى فترة ما قبل النياحة مباشرةً، يرى السيدة العذراء والآباء القديسين قادمين ليأخذوه، فكان يقول لها " أنتِ جيتِ يا أمى، أنت جيت يا أبونا فلتاؤس – الرئيس السابق لدير السريان – طيب طيب ".

الفصل الثالث

تقدير كبار الشخصيات لنيافته

١ – شهادة قداسة البابا شنوده الثالث

٢ – شهادة المتنيح الأنبا بنيامين أسقف المنوفية

٣ – شهادة المتنيح الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى

٤ – شهادة الأنبا موسى أسقف الشباب

٥ – شهادة راهبة أجنبية

٦ – شهادة عالم ألمانى

الفصل الثالث

تقدير كبار الشخصيات لنيافته

حظى نيافة الأنبا ثاؤفيلس بحب وتأييد الكثيرين لنيافته، وقد أشادوا بفضله وبالدور الكبير الذى قام بـه فى الكنيسة وفى الرهبنة، وخدماته للكنيسة عموماً وللأديرة خصوصاً، وفتحه باب الدير أمام الجامعيين وخدام مدارس الأحد، مما جعل باقى الأديرة تسير على منواله.

وإليك شهادة أهم كبار الشخصيات لنيافته وتقديرهم له:

١ – شهادة قداسة البابا شنوده الثالث

قال قداسته عن نيافته فى الكلمة التى ألقاها فى قداس ذكرى الأربعين:

(كان الأنبا ثاؤفيلس محبوباً من الآباء الأساقفة، وكنا نعتبره شيخ الأساقفة، وكان مواظباً على حضور جلسات المجمع المقدس حتى فى أيام مرضه ....

وكان الأنبا ثاؤفيلس يحترم رتب الكهنوت، ويحترم البطريرك جداً حتى لو كان من أولاده، فهو الذى رسمنى راهباً وقساً، وهو أيضاً الذى اشترك فى رسامتى أسقفاً وبطريركاً، وكنت أقول لنيافته " يا سيدنا إحنا كلنا أولادك ").

٢ – شهادة المتنيح الأنبا بنيامين أسقف المنوفية

نص الشهادة المحررة فى ٧ بؤونه سنة ١٦٧١ش، ١٩٥٥م.

حضرة صاحب النيافة أخينا الحبيب الروحى الأنبا ثاؤفيلس

دامت قداسته

بعد سعود الأوقات نرجو لنيافتكم دوام الصحة والمسرات

كنا فى زيارة للدير العامر وقد عـدنا مـسرورين وداعـين لنيافتكم بدوام الصحة والعافية كيما تتمموا رسالتكم – وقـد سررنا بالأكثر من أ- نظافة الدير ب- ملازمة معظـم الآبـاء لقلاليهم فى غيرِ مواعيد الصلاة والعمل جـ- اهتمام المنوط به الكنائس اهتماماً يذكر فيشكر سيما فى إيقاد القناديل د- أطلعنا ابنكم المبارك القمص متياس علىٍ ما جدّ من تجديدات كـثيرة ومفيدة الأمر الذى سرَّنا كثيراً.

لهذا نرفع أكف الضراعة إلى القدير أن يقويكم طالبين المزيد

نعمة الرب تشملنا جميعاً وله الشكر دائماً

بنيامين

مطرانية كرسى المنوفية
للأقباط الأرثوذكس - بشبين الكوم
تليفون رقم ٢٠١٠
بخصوص
تحريراً فى ٧ بؤونه سنة ١٦٧١ سنة ١٩٥٥
عند الرد يجب ذكر هذه النمرة
عدد المرفقات

نص شهادة المتنيح الأنبا بنيامين أسقف المنوفية

٣ – شهادة المتنيح الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى

حينما تنيح الأنبا ثاؤفيلس، تأثر جداً بنياحته نيافة الأنبا غريغوريوس، وكان يبكى ويقول " الأنبا ثاؤفيلس كان أستاذى، عندما كنا طلبة كنا نذهب لنيافته، وهو كان يرشدنا وكنا نتعلم منه.

وفى خطاب لأحد الآباء فى ٢٥ / ١٠ / ١٩٩٠م كتب الأنبا غريغوريوس يقول (وبعد الرهبنة والرسامة الكهنوتية والأسقفية كانت صلتنا بالمتنيح الأنبا ثاؤفيلس مستمرة وستظل دائماً وهو فى عالم الروح وإلى الآن وأنا أذكره فى كل قداس وأترحم عليه بدون إنقطاع، فلا أنسى محبته والعاطفة الروحية التى ربطتنا ولا تزال تربطنا به وستظل كذلك إن شاء الله حتى نلتقى معه وإذا أحبنا الله أهلاً لأن نكون معه فى فردوس النعيم).

٤ – شهادة الأنبا موسى أسقف الشباب

ذات مرة حضر نيافة الأنبا موسى أسقف الشباب لزيارة دير السريان العامر، وقام بزيارة نيافة الأنبا ثاؤفيلس، الذى كان وقتها جالساً على كرسى، فمن تقدير الأنبا موسى لنيافته، أنه أعطاه ميطانية وقبل يدى نيافته وجلس تحت قدميه.

فقال له الأنبا ثاؤفيلس " لا لا أنت أسقف " فرد عليه الأنبا موسى قائلاً " يا سيدنا أنا جالس تحت رجلين الكنيسة كلها "

(وكأن الكنيسة كلها متمثلة فى شخص الأنبا ثاؤفيلس).

وفى إحدى الاحتفالات بعيد رهبنة قداسة البابا شنوده الثالث، وقف الأنبا موسى أسقف الشباب لكى يُلقى كلمة فى الاحتفال، فاقترح على قداسة البابا، أهمية الرجوع إلى نيافة الأنبا ثاؤفيلس، للاستفادة من حكمته واختباراته الرهبانية، ومعرفته الدقيقة بتاريخ الكنيسة خاصةً وأنه قد عاصر خمسة من الآباء البطاركة.

٥ – شهادة راهبة أجنبية :

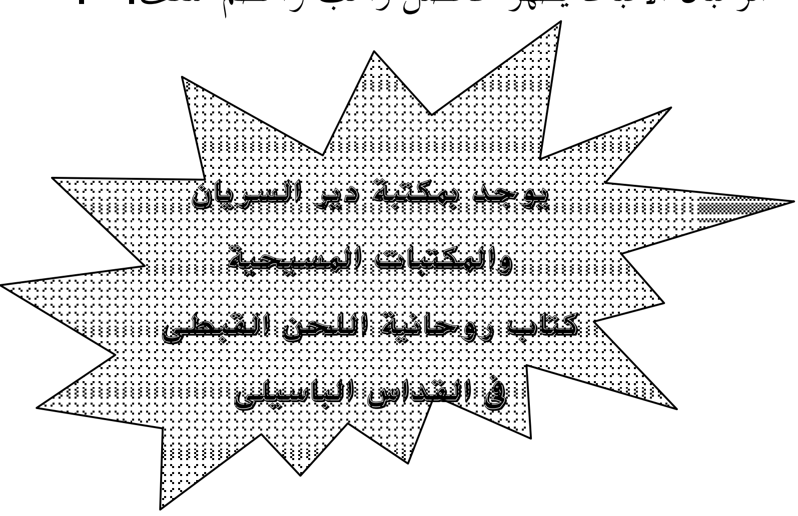
حضرت راهبة كاثوليكية إلى دير السريان بصحبة أحد الأشخاص، وأثناء الزيارة قابلت نيافة الأنبا ثاؤفيلس، فعملت أمامه ميطانية (أى سجود)، ثم لم تمسك نفسها بل ظلت تبكى دون أن تبدى سبباً لذلك، على الرغم من أنها لم تكن لها معرفة سابقة بنيافته.

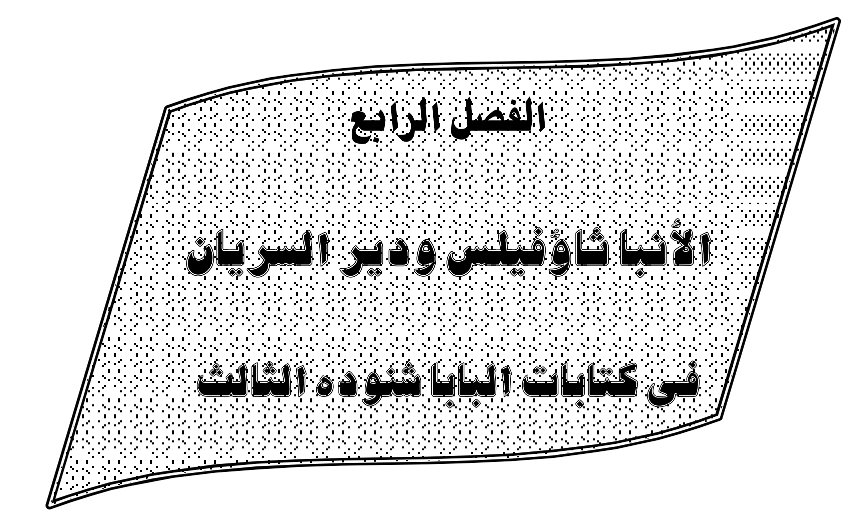
وبعد ذهابها من أمام نيافته، أخذت تتحدث عن الرهبة والهيبة التى شعرت بها بمجرد رؤيتها لنيافته ومصافحتها له.

٦ – شهادة عالم ألمانى :

بعد أن زار العالم الألمانى الكبير البروفيسور أوتو ميناردوس دير السريان العامر عام ١٩٦١م، وكان وقتها يعمل بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، أصدر بعد الانتهاء من زيارته لدير السريان

كتاباً بعنوان " رهبان وأديرة الصحارى المصرية " تحدث فيه عن دير السريان قائلاً " اليوم فى منتصف القرن العشرين نرى دير السريان فى مقدمة أديرة وادى النطرون وذلك بفضل أسقفه الأنبا ثاؤفيلس الذى يقضى كثيراً من الوقت بين أبنائه الرهبان ومن رهبان الدير يبرز واحد أكثر تعليماً وثقافة من كل رهبان الكنيسة القبطية هو الراهب أنطونيوس السريانى ومن كل الرهبان الأقباط يظهر كأفضل راهب وأعظم مثقف. " .





١ – تمنيت لو بقيت هناك

٢ – نيافة الأنبا ثاؤفيلس انتقل إلى العالم الباقى

الأنبا ثاؤفيلس ودير السريان فى كتابات البابا شنوده الثالث

ثبطوا عزم الشباب الراغب فى الرهبنة..
وقالوا ليس فى الأديرة الوسط الروحي المطلوب...
ولكننى عندما ذهبت إلى دير السريان...

(١)
تمنيت لو بقيت هناك [١٠]

قيل لى:

كنت ذاهباً وحدى إلى الدير، منذ أسبوع تقريباً.

قيل لى من الصعب أن تذهب بمفردك، إذ أنك محتاج إلى مرشد وإلى أنيس فى ذلك الطريق الموحش الطويل. وقيل لى نحن الآن فى الشتاء، والرحلة إلى الدير متعبة، والجو قارس البرد. وصحتك لا تحتمل. وقيل لى ستسير على قدميك أكثر من ثلاث ساعات ونصف، وقد تضل الطريق. وقيل لى اصطحب معك

(١٠) عن مجلة مدارس الأحد السنة الخامسة العدد الثانى فبراير ١٩٥١م أمشير ١٦٦٧ش للأستاذ نظير جيد (حالياً قداسة البابا شنوده الثالث أطال الله حياته).

عصا تتوكأ عليها إذا ما انغرست قدماك فى الرمال، وأصبحت ترفع الواحدة منها بصعوبة، وتحرك الأخرى بمشقة. وقيل لى خذ معك كمية وافرة من الماء تنقذك إذا ما جف حلقك فى الطريق. وقيل لى أشياء كثيرة أخرى، لا يسعنى أن أذكرها لك جميعاً يا أخى القارىء، ولكننى صممت مع ذلك على الذهاب، فى ذلك الطريق الموحش الطويل ! .. إلى هناك.

وبقبعة عريضة فوق رأسى، وحقيبة من القماش على ظهرى، غادرت منزلنا حوالى السادسة صباحاً، لكى أستقل سيارة الخطوط الصحراوية التى تغادر ميدان قصر النيل فى الربع قبل السابعة.. وسأحاول أن أصف لك كل شىء بتفصيل على قدر الإمكان، فربما تفكر فى مثل هذه الرحلة فى يوم ما.

فى الطريق:

كنت وحيداً، ولم أكن أعرف الطريق، ولكننى كنت أشعر فى كل ذلك أن قوة إلهية غير مرئية ستقودنى فى كل خطوة وتحقق فعلاً ما كنت أتوقعه.

وصلت إلى موقف السيارة حوالى السادسة والنصف صباحاً فرأيت هناك أحد الكهنة، وإذ قبلت يده فى فرح سألته عن وجهته فقال لى إنه أحد رهبان دير الأنبا بيشوى فى طريقه إلى ديره. فقلت له إذاً سنذهب معاً إن شاء الله فدير الأنبا بيشوى إلى جوار دير السريان... وهكذا حل الله أول مشكلة، مشكلة

المرشد والأنيس.

وقامت بنا السيارة فى موعدها، وأخذت مناظر البيوت والشوارع تختفى عن أنظارنا شيئاً فشيئاً، ثم بدت لنا أهرامات الجيزة، ثم خلفناها وراءنا، ولم يعد عن يميننا ويسارنا غير الصحراء، الشمس والرمل والصخر وبقايا معسكرات قديمة ولافتات تدل على عدد الكيلومترات الباقية من المسافة إلى الإسكندرية.

ثم وقفت بنا السيارة عند ال Rest House، وهو فندق فى منتصف الطريق الصحراوى تقريباً بين القاهرة والإسكندرية، تقف عنده العربات لتأخذ حاجتها من البترين أو الزيت أو الماء، وينال فيه الركاب قسطاً من الراحة وشيئاً من الطعام أو الشراب.

كان ذلك فى حوالى الثامنة والثلث صباحاً، وكانت المحطة هى وجهتنا بالذات، وبدا دير الأنبا بيشوى ودير السريان على مرأى أنظارنا خلف الرمال، وكان من الممكن أن أسير على هداهما فأصل قبيل الظهر. وقال لى زميلى الكاهن ونحن جالسان إلى إحدى الموائد فى الفندق إنه ينتظر عربة تصله من الدير فى الثانية عشرة ظهراً، وتذكرت كل ما قيل لى عن الطريق الموحش الطويل، ففضلت الانتظار مع الأب الراهب حتى تأتى العربة. وبرغم أن العربة لم تأت إلا أننى لست نادماً على الساعات

الطويلة التى قضيناها فى الفندق، فقد تمتعنا بحديث شيق تذكرنا فيه الكنيسة ومتاعبها، ولكنه حديث ليس للنشر..

وفى الثانية عشرة وعشر دقائق، فى منتصف الظهر سرنا (١١) معاً فى طريقنا إلى الدير. وكان الطريق ينقسم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى، وهى طريق مرصوف تسير فيه كثير من العربات من ال Rest House إلى مقر شركة الملح والصودا بالهوكارية، وقد قطعناه بمشية معتدلة (١٢) فى ثلثى ساعة. ثم سرنا بعده فى الجبل على الرمل إلى الدير.

لم تكن معى عصا، ولم أكن فى حاجة إليها، فلم تنغرس قدماى فى الرمال بالشكل الذى قيل لى. ولم يكن معى ماء، ولم أشعر بحاجة إليه، فلم أعطش فى الطريق. ولم يكن الطريق موحشاً، وإن كان يتقلب بين أرض رملية وأرض صخرية

(١١) هناك رجل يسمى " الروبى " يستطيع بإحدى سيارات الچيب أن ينقل الركاب من ال Rest House إلى باب الدير. وهو يتقاضى جنيهاً عن كل نقلة، وسيارته تسع حوالى الخمسة أشخاص، ولكننا لم نجده وقتذاك.

(١٢) من الممكن أن تحملك فى هذا الطريق إحدى سيارات شركة الملح والصودا إن وجدت. ولكن الوقت بالنسبة لنا كان ظهراً، وكان الطريق خالياً من السيارات تقريباً.

وأرض ملحية.. ولم يكن طويلاً جداً فقد قطعنا المرحلة الثانية بمشية معتدلة أيضاً فى ساعتين إلا ثلث فيكون مجموع ما سرناه ساعتين وثلثاً، ولو كنا أسرعنا، أو لو سرنا فى طريق آخر مختصر، لقطعنا المرحلتين معاً من موقف السيارة إلى باب الدير فى ساعتين أو أقل...

كان الأب الراهب يعرف الطريق (١٣)، وكان الديران ظاهرين أمامنا طوال المسافة كشبحين رابضين فى الصحراء، وإن كان دير الأنبا بيشوى يبدو أكثر وضوحاً لأن الأرض التى أمامه ليست بها مرتفعات تخفى بعض أجزائه كالأرض التى أمام دير السريان.

وأخذت المسافة تقصر بيننا وبين الديرين وهم يتضحان أكثر فأكثر، حتى وصلنا أخيراً.

فى دير الأنبا بيشوى:

كنت أريد أن أتجه مباشرة إلى دير السريان، فقد جئت خصيصاً لزيارته، ولكن الأب الكاهن الذى كنت معه أصر على أن أصاحبه إلى دير الأنبا بيشوى، فدخلنا هناك حيث قدم لنا

(١٣) إذا لم يكن معك أحد يعرف الطريق، فاسأل الأولاد فى قرية الهوكارية، أو اسأل عن رجل يدعى (حسن الجزيرى) وهو يرسل معك من يرشدك لقاء أجر تافه.

طعام الغذاء وتمتعنا بحفاوة وكرم الآباء الرهبان. على أننى لم أقض هناك إلا دقائق ثم ذهبت فى صحبة بعض الآباء إلى دير السريان... شددنا الحبل المتدلى من الدير فدق الجرس المعلق فى أعلى البوابة، وأقبل أحد الرهبان وفتح لنا الباب فدخلنا.

وجوه مألوفة:

كان أول من صادفنى راهب شاب، قابلنى بترحاب كبير وبشاشة زائدة. إنه وجه مألوف لدىّ. كان من شبان مدارس الأحد بشبرا. وسرت قليلاً فإذا بى أجد وجهاً مألوفاً آخر، إنه القس مكارى أحد أمناء مدارس أحد الجيزة سابقاً.. ثم رأيت رهباناً آخرين وخيل إلى أننى ما أزال فى القاهرة فى مدارس الأحد. وأخيراً قابلت الأب الأسقف الأنبا ثاؤفيلس.

رأيت راهباً:

لقد أحببت هذا الرجل، وأعجبنى من صفاته التواضع والمحبة والرغبة فى التفاهم... إن علاقته برهبانه الموجودين فى الدير، علاقة محبة، وتفاهم متبادل، ورعاية صادقة. وهو ينتقل من مكان إلى مكان فى الدير، يشرف وينظم، ويتبادل أحاديث المحبة مع هذا وذاك — كان فى الدير أخ متوعك الصحة فمر عليه الأب الأسقف فى قلايته عدة مرات فى اليوم الواحد، ورغم أن باب قلايته كان مفتوحاً، إلا أنه فى كل مرة كان يقرع فى تواضع على الباب، وهو يقول " أغابى " ثم ينتظر، فإذا ما رد

الراهب أو أقبل دخل واستفسر عن صحته، واطمأن عليه، وطلب له ما يحتاجه من أسبرين أو مشروب ساخن.

وبينما كنت جالساً فى إحدى المرات مع الأب مكارى فى قلايته نتحدث فى أمر المطبوعات الجديدة التى يقوم بها للدير، إذا بوجه محبوب يطل علينا من نافذة القلاية المفتوحة، وصوت حنون يتكلم.. إنه الأب الأسقف، يبدأ بتحية رقيقة لكلينا، ثم يسأل عن المطبوعات وماذا تم فيها، وماذا طبع، وكم ملزمة تحت الطبع، ثم يجلس معنا، كواحد منا، يتكلم ويتفاهم فى تواضع ومحبة.

وكثيراً ما كنت أسير فى الدير، فأجده واقفاً مع هذا الراهب أو ذاك، يتكلم معه كما يكلم الأب ابنه فى بساطة تامة، وبدون كلفة أو رسميات...

وقد كان نيافته رقيقاً جداً فى ضيافته لى. تحدثت معه فى مواضيع شتى، وطرقنا أموراً كثيرة للكنيسة، وكنا متفقين معاً فى كل شىء فلم نختلف فى نقطة واحدة. وقد تمتعت بكثير من كرم نيافته: قدم لى حجرة مريحة خاصة، وكنت أتناول الطعام معه طوال المدة تقريباً، وسار معى فى كل نواحى الدير يشرح لى كل شىء...

المتحف... والمطبعة...

أرانى نيافته متحفاً صغيراً أسسه فى الدير، جمع فيه كل المخلفات الأثرية التى عثر عليها ملقاة هنا أو هناك، منها بعض القناديل والنجف والمباخر والعصى والكتابات والصور، وبعض بنادق لعلها أثر تبقى من إغارات البربر والأعراب، وبعض أدوات الهيكل وغير ذلك من التحف.. ثم انتقلنا إلى المطبعة..

ولأول مرة يُدخل أسقف مطبعة فى ديره. لقد تعب كثيراً فى إحضارها، ونقلها فى الطريق الصحراوى الطويل إلى الدير. وقد أحضر لها عاملين لجمع الحروف والطبع، كما تعلم بعض الرهبان الطباعة أيضاً. ورأيت الورق الذى اشتراه الأب الأسقف والملازم التى طُبعت حتى الآن من كتاب " الآباء الحاذقون فى العبادة " وهو جزء من مخطوطات الدير القيمة، سينتهى طبعه فى هذا الشهر تقريباً ثم يرسله الأب الأسقف إلى مكتبة مدارس الأحد بالجيزة لتوزيعه... ورأيت أيضاً الأوراق التى تم طبعها تحت عنوان " من كنوز الأديرة ".

إن العمل يسير فى المطبعة بشوق ونشاط، وكثير من الرهبان يعملون فيه. البعض مراجعة النص ونقله بخط واضح، والبعض فى تنقيح اللغة، والبعض فى الطباعة من جمع حروف ومراجعة بروفات وطبع. والأب الأسقف يشرف على كل هذا، يشجع وينظم ويقدم الإمكانيات اللازمة. قال لى القس مكارى: إننا لم نطلب شيئاً منه إلا وأحضره لنا، لم يعارض ولم يتردد فى إحضار

شىء نحتاجه، حتى إننا فى خجل من محبته...

وسط الخضرة:

ثم ذهبت مع نيافة الأسقف بعد ذلك إلى الحديقة، إنها خضرة جميلة وسط الصحراء، على مقربة من الدير. كانت منذ زمن قريب رملاً أصفر، ثم بدأ يعمل فيها القمص سيداروس بهمة كبيرة، وهو رجل طيب القلب وواحد من الرهبان القلائل كبار السن الموجودين فى الدير. اختار أرضاً منخفضة نسبياً قريبة من مستوى الماء، ثم حفر منخفضاً حتى ظهر الماء متدفقاً نقياً، وأحضر الأب الأسقف ماكينة لرفع الماء، وبدأ العمل.. وزرع الأب سيداروس أشجاراً من الكافور حول المكان، ثم قسم الأرض إلى أحواض وظل يعمل. زرع بعض الموالح كالبرتقال والليمون والزيتون، وبعض الفاكهة كالمانجو والبطيخ والتين الشوكى، وبعض خضروات وحاجيات الطعام كالحلبة والبصل والطماطم والفول الأخضر والباذنجان. إن الأب سيداروس يحب مزروعاته، ويحنو عليها كما تحنو الطيور على صغارها، لقد وقفت مبهوتاً ومعجباً أمام تلك المحبة...

وقد سرنا وسط هذه الخضرة الجميلة، وكان الأب الأسقف يتفقد كل شىء ويسأل عن كل زرعة، ويطمئن على سير العمل، ويقدم نصائحه للأب سيداروس، ويوافق على مقترحاته النافعة. ثم جلس على الرمل وسط هذه الزروع وجلسنا معه

وطفقنا نتحدث.. كان الجو لطيفاً، والزرع نضراً، والحديث شيقاً.. إنها أوقات لا أنساها... ثم انتهى بنا المطاف ورجعنا إلى الدير.

الملائكة الأرضيون:

قضيت فى الدير يومين كاملين تقريباً: من عصر السبت إلى ظهر الاثنين. وأتاحت لى هذه المدة أن أحضر عشية السبت وقداسى الأحد والاثنين، كما حضرت الدراسة يوم الاثنين.

دقت أجراس الكنيسة وقت الغروب فذهبنا جميعاً إلى الصلاة: كان كل راهب يدخل الكنيسة فيسجد أمام الهيكل ثم يقف أمام الأنبوبة الخشبية المحفوظة فيها بقايا عظام القديسين، فيتبرك ويصلى، ثم يذهب إلى حيث يقف الأب الأسقف ويقبل الأرض بين قدميه، ثم يقبل يديه، ثم يمر على الرهبان جميعاً وباقى المصلين، فينحنى على يد كل منهم يقبلها طالباً السماح والغفران، وأخيراً يقف فى المكان المخصص له فى الكنيسة: كل واحد حسب أقدميته فى الرهبنة والرتبة الكهنوتية.

وإذ وقف الجميع فى أماكنهم بدأت الصلاة، كانت عشية عادية، ولكن الوسط الهادىء الوقور الصالح للعبادة، وصوت الآباء المرتفع فى خشية وورع، أفاضا عليها لوناً رائعاً من الروحانية والهيبة. كانت صلاة خاشعة، انتهى الجميع منها ثم انصرفوا بنفس الشعور.. ونفس النظام.. ونفس الوقار...

ولقد تحدثت مع هؤلاء الرهبان.. كلهم شبان فيهم حيوية وفيهم نشاط، والشيوخ القلائل الموجودون بينهم هادئون طيبو القلب، والجميع يمتازون بنفس ميزات أسقفهم: التواضع والمحبة والرغبة فى التفاهم.

سألت أصغرهم سناً عن الحالة فى الدير، فطفق يحدثنى عن قداسة بعض الآباء، وعن المواقف التى حاربوا فيها الشيطان بعنف، حديثاً ملأنى بحب هذا المكان والساكنين فيه. حدثنى عن راهبين متوحدين وعن بعض التداريب الروحية فقلت وأنا مأخوذ بكلامه " **طوباهم رهبان هذا الدير، إنهم مجاهدون** " فقال " نعم، ماعدا واحداً ". وعرفت أنه فى تواضع يقصد نفسه، فابتسمت وغيرت مجرى الحديث.

وفى مرة عندما انتهيت من طعامى أسرع أحد الآباء ليصب لى الماء ويساعدنى على غسل يدى. فامتنعت فأصر فقلت وأنا خجول من خدمته ومحبته " إحنا تعبناك معانا يا أبونا " فرد فى بشاشة ومحبة " أبداً. دى بركة كبيرة قوى ". لقد أحببت هذا الشخص. إنه بسيط ومتواضع وهادىء...

بل الدير كله رهبان متواضعون هادئون ودعاء، والصوت المرتفع الصاخب لا تسمعه هناك. وحتى العلمانيين اللذين يعملان فى المطبعة اختلطت بهما فوجدت عليهما سيماء الرهبان.

خلف القنطرة المتحركة:

وفى تجوالى فى الدير رأيت القصر القديم، وهو حصن كـــان يلجأ إليه الرهبان فى الأجيال الأولى عندما يهجم عليهم البربر أو الأعراب. تربط هذا القصر بالدير قنطرة متحركـــة إذا رفعـــت ينفصل عنه، ويظل الرهبان فيه يقتاتون على ما يحفظونه هنـــاك من ترمس جاف حتى تنتهى الغزوة. وقد قام الأنبـــا ثـــاؤفيلس الأسقف الحالى بترميم هذا الحصن، وأصبحت فيه غرفات كثيرة صالحة للسكنى، وإن كنت قد رأيتها جميعها خالية ماعدا غرفـــة واحدة يعيش فيها راهب طيب القلب. يسكن هناك بمفرده على فراش بسيط، فى رعاية الملاك ميخائيل الملاك الحـــارس للـــدير، الذى توجد على اسمه كنيسة قديمة فى هذا الحصن...

فى نصف الليل:

قضيت فترة طويلة مع الآباء الرهبان مساء السبت، وكانـــت الساعة الحادية عشرة والنصف حين آويت إلى فراشى. ومـــرت مدة بسيطة ثم دق الجرس الذى يعلن صلاة نصف الليل، وربمـــا لتعبى من رحلة اليوم أو ربما لعدم استحقاقى لم أسمـــع الجـــرس ففقدت بركة تلك الصلاة. ثم دق جرس آخر واستيقظت. كان الجو بارداً بعض الشىء، وقد غمرتنى موجة من الكسل على أننى قمت وسرت بدون شمعة فى الظـــلام، إلى الكنيـــسة. وهنـــاك وجدت الآباء الرهبان العابدين، يصلون، فوقفت بينهم. ويحى أنا الإنسان الشقى، هل كنت أحسب مجرد وقفتى هناك صـــلاة...

انتهت التسبحة ثم بدأت صلاة باكر ثم بدأ القـــداس. وحـــين خرجنا من الكنيسة كان النور قد غمر الـــدير.. ولم أكـــن فى حاجة إلى شمعة.. هذا الدير العابد يقيم قداساً فى كل يوم: وفى يوم الأحد بالذات كان يقام قداس آخر فى نفـــس الوقـــت فى كنيسة الملاك ميخائيل بالحصن القديم.

فى المدرسة:

كان يوم الأحد حافلاً كله بالزيارات. زار فيه الدير أكثر من مئة شخص أجانب ومصريين أما فى صباح الاثنين، فأتيحت لى بعد القداس، فرصة أرى فيها المدرسة الجديدة التى أسسها الأب الأسقف فى الدير، وعهد بالإشراف عليها إلى القس مكـــارى.. إن الرهبان يدرسون فيها اللاهوت والعقائد والطقوس وتـــاريخ الكنيسة ودرس الكتاب المقدس وأقوال الآباء واللغة القبطية. كل راهب له كراساته الخاصة ومذكراته، وهم مواظبون على العلم، تعقد لهم امتحانات فى أوقات متفاوتة، وستؤدى هذه المدرســـة فائدة كبرى بإذن الله، والأب الأسقف يحوط هذا المعهد الرهبانى بجانب كبير من رعايته. لقد ذهب بنفسه، وجلس مع الرهبان، واستمع إلى بعض من الدروس، ورأى كيف تلقى وكيف تسير المناقشات، ثم بارك الجميع وانصرف ليشرف على باقى أعمـــال الدير.

وأخيراً:

كان موعد رحيلى قد حان، ووقفت أنظر إلى الدير وإلى الآباء الرهبان الودعاء المتواضعين وشعرت برغبة كبيرة فى البقاء، لولا أنه تمنعنى إلى حين بضع خدمات وأمور فى الطريق.

وأما أنت يا أخى الحبيب يا من لك تلك الرغبة، وليس هناك ما يعوقك سوى شائعات تدور حول روحانية الأديرة الآن، إليك يا أخى الحبيب أكتب هذا المقال لعلك تعيد التفكير فى الموضوع. الرب معك. أذكرنى فى صلاتك.،،،

نظير جيد

(٢)
نيافة الأنبا ثاؤفيلس
انتقل إلى العالم الباقى (١٤)

لقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

لقد عز علينا انتقال الحبر الجليل شيخ الأساقفة جميعاً، نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف ورئيس دير العذراء (السريان) العامر.

فارق عالمنا الزائل يوم الثلاثاء الموافق ٥ / ١٢ / ١٩٨٩م. وتمت الصلاة على جثمانه الطاهر فى الكنيسة المرقسية الكبرى فى الأزبكية فى القاهرة وفى ديره.

ولد نيافته سنة ١٩٠٨م من أسرة تقية فى الريدانية (من قرى الدقهلية) وترهب وهو شاب صغير سنة ١٩٢٥م فى عهد البابا كيرلس الخامس.

والتحق بمدرسة الرهبان التى أنشأها قداسة البابا يوأنس التاسع عشر. وكان يحب هذا البابا جداً. ويحكى عنه قصصاً.

وكان يذكر بالخير رئيسين للدير عاصرهما وأحبهما، وهما

---

(١٤) مجلة الكرازة السنة السابعة عشر العدد ٤٢ (٢٢ ديسمبر ١٩٨٩م – ١٣ كيهك ١٧٠٦ش).

القمص مكسيموس والقمص فلتاؤس. وقد صار وكيلاً للدير فى عهد ثانيهما.

وهو أول رئيس لدير السريان سُيم أسقفاً. وتمت سيامته فى عهد البابا يوساب الثانى فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٨م مع خمسة من الأساقفة الأحباش.

كان نيافته نشيطاً جداً يحب التعمير. وقد بنى للدير عمارات كثيرة فى الأزبكية وجاردن سيتى. كما عمر مقر الدير فى الدرب الإبراهيمى بالقاهرة.

وديره أول دير قام بتعمير الصحراء.

واشتغل نيافته بذلك منذ كان وكيلاً للدير، منذ أكثر من أربعين عاماً.

وهو أول من رهبن خداماً مثقفين من التربية الكنسية. وكان من أولاده فى الرهبنة قداسة البابا شنوده الثالث.

وتخرج فى ديره ١٨ أسقفاً.

منهم أصحاب النيافة الأحبار الأجلاء:

المتنيح الأنبا صموئيل، والمتنيح الأنبا يوأنس، والأنبا أثناسيوس، والأنبا دوماديوس، والأنبا باخوميوس، والأنبا بيشوى، والأنبا أغاثون، والأنبا صرابامون، والأنبا هدرا، والأنبا

بفنوتيوس، والأنبا أنجيلوس، والأنبا متاؤس، والأنبا رويس، والأنبا ميصائيل، والأنبا برسوم، والأنبا أنطونيوس، والأنبا متياس، والخورى ابسكوبس الأنبا إيساك.

ونيافته أول من أدخل مطبعة فى الدير، وأول من طبع ونشر أقوال الآباء.

وكان أول من زود مكتبة الدير بمجموعة ضخمة من أقوال الآباء التى نشرت فى الخارج.

وهو أول من وسّع نطاق الدير.

وأقام له سوراً يضم أكثر من سبعين فداناً، وبداخله عدد كبير من القلالى المنفردة، وسمح لرهبانه بالتوحد وسكنى الجبال.

وهو أول من أسس بيتاً للخلوة فى الدير.

وكان ذلك سنة ١٩٦٠م، وبهذا كثر إقبال الشباب على الدير، وبدأوا يقضون أسبوع الآلام فى الدير، ويقيمون فى الدير فترات لنموهم الروحى.

واعتنى نيافته بدير الأنبا بيشوى.

وكان يصرف عليه من سنة ١٩٦١م لمدة عشر سنوات، ويسدد ديونه. كما صرف على دير مار مينا مدة طويلة فى عهد قداسة البابا كيرلس السادس.

وكان نيافته حاد الذكاء قوى الذاكرة.

وكثيراً ما كان يروى أخبار الآباء السابقين بدقة عجيبة تستمر تفاصيل كثيرة.

وكان صبوراً كثير الاحتمال، يحتمل غضب غيره دون أن ينفعل. وكان محبوباً من الكثيرين، وله صداقات بعدد كبير من الأراخنة، وعطف على عديد من الشباب.

وكان نيافته نشيطاً جداً...

ومنذ رئاسته كان أكثر رؤساء الأديرة فى أيامه وجوداً فى الدير.

وفى نفس الوقت كان يتردد أحياناً على عزبة الدير للإشراف عليها. وفى القاهرة كان يصلى فى كنيسة العذراء المشهورة بالعزباوية.

وكان من أكثر رؤساء الأديرة المهتمين بحساباتهم، والملتزمين بصلتهم بهيئة الأوقاف القبطية.

وقد أتعبه مرض القلب الأخير.

وكان على وشك الوفاة منذ أكثر من سنتين. وأثر المرض على ذاكرته فترة، ثم صار طبيعياً. ولكن صحته العامة تأثرت، وظهرت عليه الشيخوخة.

وكانت الوعكة الأخيرة، التى لم تمهله حتى فارق الحياة.

وقد صلى على جثمانه الطاهر عدد كبير من الأساقفة هم:

الأنبا أثناسيوس — الأنبا غريغوريوس — الأنبا باخوميوس — الأنبا تيموثاوس — الأنبا أرسانيوس — الأنبا بنيامين — الأنبا أمونيوس — الأنبا أنجيلوس — الأنبا متاؤس — الأنبا بساده — الأنبا ساويرس — الأنبا بيسنتى — الأنبا برسوم — الأنبا أنطونيوس — الأنبا متياس.

وألقى عظة العزاء فى القاهرة وفى الدير نيافة الأنبا أثناسيوس.

ثم دفن فى المقبرة التى قد أعدها لنفسه فى الدير (تحت المنارة الجديدة).

سلام لروحه، وعزاء لأبنائه ومحبيه... عوضه الله عن تعبه الكثير الذى بذله فى تعمير الدير، وفى إعداد جيل رهبانى من الخدام الروحيين تسلم قيادات فى الكنيسة.

لقد قضى ٦٤ سنة فى الرهبنة.

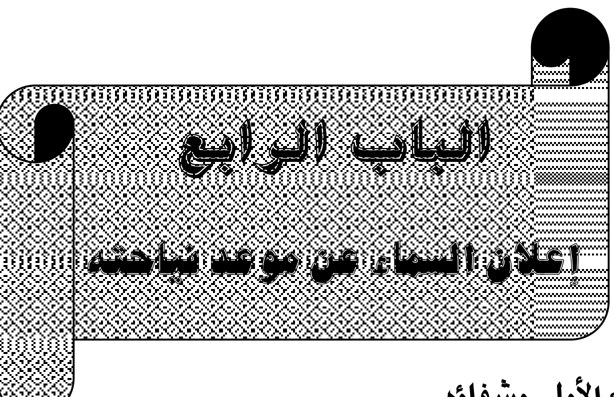
و٤١ سنة رئيساً وأسقفاً للدير.

وكان يجمع بين جيلين، تأثر بكليهما.

وغادر عالمنا عن ٨١ عاماً من العمر، وقد أعطى ديره شهرة واسعة، وقدم له ما استطاع من إمكانيات.

نيح الله نفسه العزيزة علينا جميعاً، وكافأه أجراً صالحاً

سمائياً....



أولاً: مرضه الأول، وشفاؤه

ثانياً: النبوة بميعاد نياحته

ثالثاً: أحداث ما قبل النياحة

رابعاً: نياحة الأنبا ثاؤفيلس

١ — إعلانات على نياحته فى بعض الأماكن
٢ — ما حدث أثناء تكفين نيافته
٣ — الصلاة على جثمانه فى المرقسية
٤ — الصلاة عليه مرة أخرى فى دير السريان
٥ — دفنه تحت المنارة

خامساً: بعد النياحة

١ — فى ذكرى نياحته

٢ – يستجيب لراهب فى مرضه

أولاً: مرضه الأول، وشفاؤه

فى نهاية عام ١٩٧٠م وبداية عام ١٩٧١م تعرض نيافة الأنبا ثاؤفيلس لحدوث جلطة فى قدم نيافته، وتم علاج نيافته فى القاهرة وشفى تماماً.

ولكن تم تكرار حدوث الجلطة عام ١٩٨٦م بعد عيد القيامة وعيد العنصرة (كما ذكرنا سابقاً)، وتحركت الجلطة متجهة نحو القلب، فتم نقل نيافته إلى مستشفى السلام بالمهندسين، وهناك أدخلوه غرفة العناية المركزة.

وحاول الأطباء جاهدين أن يذيبوا الجلطة ولكنهم للأسف فشلوا، وبعد فترة رفعوا كل الخراطيم والأجهزة عن جسد نيافته، وأصدر الأطباء تقريراً طبياً بوفاته.

وكما ذكرنا سابقاً قام البعض بإعداد النعى الذى سيُكتب فى الجرائد، وذهب ابن أخت نيافته إلى الدير لإحضار ملابسه الكهنوتية، وهناك انزعج الآباء الرهبان لما رأوه، ولكنه لم يصارحهم بل غافلهم وأخذ الحقيبة التى بها الملابس الكهنوتية الخاصة بسيدنا وغادر الدير مسرعاً.

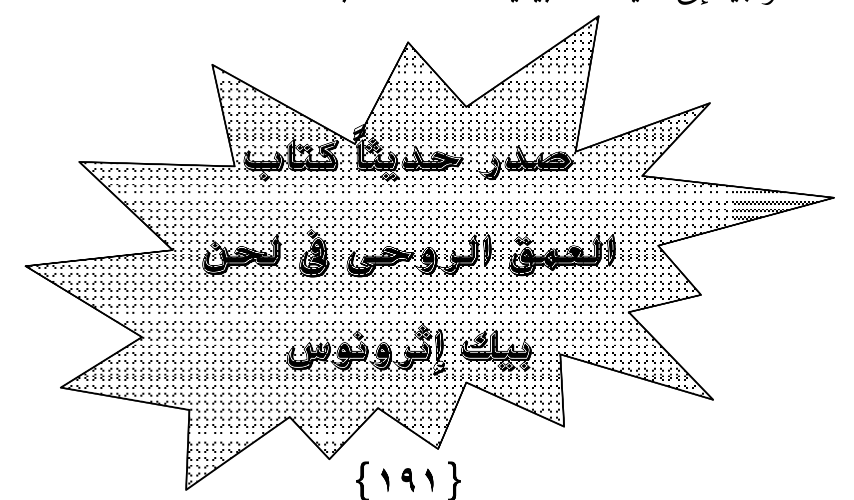
وقد انتشر سريعاً خبر نياحة الأنبا ثاؤفيلس بين الرهبان وبين الأحباء من العلمانيين، فتجمع الكثيرون بالمستشفى، وعاد

الدكتور عادل من الدير إلى المستشفى أيضاً، وكـــان الجميـــع ينتظرون التصريح بأخذ جسد نيافته.

ولكن كانت المفاجأة التى أذهلت الجميع وفرَّحتهم جداً، أن نيافة الأنبا ثاؤفيلس قام من على سرير مرضه، وأخذ يتمشى فى الصالة التى أمام حجرته بالمستشفى، وكأنه لم يكن به شىء.

فحضر الأطباء ووقعوا الكشف الطبى عليه، وقد فوجئوا بمـــا حدث، وتعجب جميع الحاضرين مما حدث لنيافته، فأسرعوا نحوه وسألوه مستفسرين عما جرى لنيافته، فحاول الإخفاء، ولكـــن بعد إلحاحهم قال لهم " أمى جاءت إلىّ وشـــفتنى "، ويقـــصد بالطبع أمه القديسة العذراء مريم.

فكتب له الأطباء الخروج، وهنأوه بسلامته وشفائه، وعـــاد تدريجياً إلى حياته الطبيعية كما كان قبلاً.



ثانياً: النبوة بميعاد نياحته

ظل نيافة الأنبا ثاؤفيلس بصحة معتدلة لمدة ثلاث سنوات بعد شفائه، ولكن أراد الله بعدها أن يريحه من أتعاب هـــذا العـــالم وشقائه.

وتقديراً لجهاد نيافته، جعله الله مثل القديسين الكبار الـــذين تنكشف لهم مواعيد نياحتهم قبلها بفترة ليعدوا عدهم للـــسفر الأخير، هكذا أعلنت السماء لنيافته أن ميعاد نياحته هو ٥ / ١٢ / ١٩٨٩م، وكان الإعلان قبلها بستة وعشرين يوماً، مثل جميع المجاهدين الذين سبقوه، ليستريحوا من أتعاب هذا العالم الفانى.

وتعددت الآراء بخصوص الأب الراهب الذى أعلنـــت لـــه السماء ميعاد نياحة الأنبا ثاؤفيلس، فالبعض يقولون أن الـــذى أُعلن له هو " المتنيح القمص أرمانيوس الـــسريانى "، والـــبعض يقولون أن الذى أُعلن له هو " القمص أبـــانوب الـــسريانى " والبعض الآخر يقولون أن الذى أعلن له هو " القمص فـــانوس الأنبا بولا ".

وسواء أى منهم فقد تحققت النبوة تماماً، فليس هناك مانع من إعلان النبوة من خلال عدة أشخاص. فقد أعلن إرميا وإشـــعياء وغيرهم من الأنبياء عن خراب أورشليم وسبى يهوذا إلى بابـــل ولم يقل الناس أن أحد منهم سمعها أو أخذها من الآخر. ولكن

الذى يتفق عليه الجميع هو أن الذى دخل قلاية الأنبا ثاؤفيلس ووجه لنيافته الكلام والاعلان عن ميعاد النياحة هو " القمص أبانوب السريانى ".

ويحكى لنا القمص أبانوب السريانى عما حدث قائلاً:

((إننى كنت فى القاهرة، استعداداً للسفر إلى الأقصر، ولظرف ما احتجت إلى بعض الأشياء فعدت لآخذها من الدير، ولما ضرب جرس مجمع الغروب، ذهبت لأحضر وأشترك فى الصلاة، وبعد مجمع الغروب ذهبت إلى قلاية الأنبا ثاؤفيلس بناءً على دعوة خاصة من نيافته لى، وكان لدى نيافته ثلاثة آباء رهبان. فلما سمح لى بالجلوس إلى جوار نيافته، رأيت فجأةً قلاية نيافته (وكان بابها مفتوحاً) مضيئة بدرجة كبيرة، لم أستطع معها أن أفتح عينى، فأخرجت نظارتى الشمسية ووضعتها على عينىّ.

وبعد قليل وجدت نفسى بجرأة غير عادية أقول لنيافته " يا سيدنا أنت ها تموت يوم ٥ / ١٢ بعد الغروب، فى وسط أولادك الرهبان، وهذا هو كلام الشهيد أبانوب "، ولست أدرى كيف كلمت نيافته بهذه الجرأة غير المعتادة، أما الآباء الرهبان الحاضرون فاعترض أحدهم وقال " نحن لا نريد أن سيدنا يموت"، وأما نيافته فلم يتزعج من كلامى لنيافته مطلقاً، بل وجدت وجهه كوجه طفل برىء، وكان وجهه مضيئاً جداً.

وبعدما صرف الآباء الرهبان بسلام، أجلسنى مع نيافته لفترةٍ طويلة، وأخذ نيافته يحسب عدد الأيام الباقية فوجدها ٢٦ يوماً، فقال لى " ده كتير يا ابنى "، فقلت له وأنا بدون إرادتى " ربنا هو الذى تكلم عليٍ فمى، فليس لى دخل بهذا يا سيدنا " ثم تابعت كلامى قائلاً له " استعد وشوف واحد من الآباء شيوخ الدير واعترف عليه ".

وظللنا فترة نتجاذب أطراف الحديث عن أمور حياته منذ بدايتها وحتى هذه اللحظة، ثم قلت له حاللنى يا سيدنا لأنصرف، فقرأ لى التحليل.

ثم قبَّلت يديه وقلت له " القديسون يحبونك يا سيدنا، وخصوصاً السيدة العذراء والبابا كيرلس السادس ويشفعون لنيافتك، ونيافتك ستدخل الفردوس "، فرد نيافته باتضاع بما معناه " أنا غير مستحق ".

وفى تلك اللحظة دخل أحد الآباء الرهبان وحاول إخفاء وإنكار هذا الكلام أو تشويشه وعدم تصديقه، ولكن نيافته قال له " لا يا ابنى كلامه سيتم ". فخرجت من عنده ولما وصلت قلايتى قلبت ورق النتيجة وفى يوم ٥ / ١٢ / ١٩٨٩م كتبت **" نياحة الأنبا ثاؤفيلس الكبير "**))

ثالثاً : أحداث ما قبل النياحة

أمام أجساد قديسى الدير:

كان نيافة الأنبا ثاؤفيلس فى أيامه الأخيرة تواقاً إلى المـــوت، فكأن لسان حاله يقول مع القديس بولس الرسول " لى اشـــتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً " (فى ١: ٢٣)، وكان من علامات هذا، أن نيافته كان فى كل مرة يدخل فيهـــا إلى الكنيسة، يتقدم إلى أجساد القديسين فى المقصورة، ويناجيهم بصوت مسموع قائلاً " إلى متى.. لقـــد تعبـــت ... أريـــد أن أرتاح.... كفاية كده .... شوفوا حد غيرى .... أنا تعبت ... إلخ "، وكما يقول القديس يوحنا الدرجى عمن يشتهون الموت " مَنْ ينتظر الموت فى كل يوم هو لا شك إنسان فاضل، ولكن من يتوق إلى الموت فى كل حين هو قديس ".

وقوفه أمام المنارة التى بأسفلها مقبرته:

كان نيافته يضع الموت أمام عينيه منذ البداية، ولهذا قام ببناء مقبرة لنفسه أسفل المنارة الغربية، وحينما تنيح أبونـــا موســـى السريانى (الذى ترهب مع نيافته فى نفس اليوم)، أمر نيافته بأن يتم دفنه فى نفس المقبرة التى أعدها لنفسه.

وفى الأيام الأخيرة، كان أحد الآباء ملازماً لنيافته، فاستدعاه يوم الاثنين ٢٨ / ١١ / ١٩٨٩م وقال لقدسه غـــداً الثلاثـــاء سنذهب إلى القاهرة لقضاء بعض الأمور فأرجوك جهز السيارة،

وفعلاً أعد الأب الراهب السيارة وذهب لنيافته وأخذه وخرجا معاً، وفى طريقهما مرّا على المنارة المقصودة، فوقف نيافته أمامها وقال لهذا الأب " نظفوا المنارة يا ابنى " ثم بعد قليل قال " اللـــى يموت .. يرتاح "، ثم صلى نيافته الصلاة الربانية أمام المنارة وقال لهذا الأب الراهب " أبونا موسى كان رجل طيب يا ابنى ".

نزوله إلى القاهرة:

نزل نيافة الأنبا ثاؤفيلس مع الأب الراهب يوم الثلاثاء ٢٩ / ١١ / ١٩٨٩م، وظل أبونا مرافقاً لنيافته حتى يوم الأحـــد ٣ / ١٢ / ١٩٨٩م فطلب نيافته بإلحاح أن يرجع إلى الدير، ولكـــن للأسف لم يتمكن لتدهور حالة نيافته الصحية جداً.

فلما همّ، الأب الراهب بالعودة إلى الدير بمفرده، أعطاه مبلغاً من المال لكى يسلمه لأمين الدير وقتها، وأعطاه أيـــضاً لنفـــسه مبلغاً أكبر مما كان يعطيه فى كل مرة كمصاريف، فلما تعجب الأب الراهب، وقال لنيافته " ده كتير يا سيدنا "، قـــال نيافتـــه " ما خلاص، دى آخر مرة ها أعطيك فيها " وصرفه بسلام.

آخر ثلاثة أيام فى حياة الأنبا ثاؤفيلس:

يروى لنا **الدكتور عادل باقى** ابن أخت نيافته، أحداث آخر ثلاثة أيام فى حياة خاله الأنبا ثاؤفيلس، لأن سيادته قد رافقه و لم

يفارقه طوال الثلاثة أيام فيقول:

كنت أعلم بقصة النبوة الخاصة بتحديد تاريخ نياحة الأنبا ثاؤفيلس فى يوم ٥ م ١٢ / ١٩٨٩م، وقد انتشر الخبر وعرفه الكثيرون قبل نياحته بأسبوع، وبناءً عليه حضرت لكى آخذ البركة الأخيرة من نيافته، فرافقته الثلاثة أيام الأخيرة.

يوم الأحد ٣ / ١٢ / ١٩٨٩م

ذهبت إلى مقر الدير (العزباوية) ودخلت إلى نيافته، مساء يوم الأحد ٣ م ١٢ / ١٩٨٩م، وكان نيافته فى غرفته المتواضعة جداً، فقمت بقياس ضغط الدم لنيافته، فوجدته ٦٠ / ٣٠ (وهو مستوى منخفض جداً، والمفروض أن يكون فى غيبوبة)، ولكن نيافته كان فى منتهى الوعى والصحوة ويتمتع بالذاكرة القوية والذكاء الثاقب.

فسألنى نيافته قائلاً " النهارده كام فى الشهر يا ابنى ؟ " فقلت – كاذباً – النهاردة ٢٤ نوفمبر يا سيدنا، فضحك نيافته وكأنه يقول لى " أنا أعلم ماذا تقصد "، ثم ضحكت وقلت لنيافته " أنت مصدق النبوة يا سيدنا ؟ " فأجاب نيافته على الفور قائلاً " يا ابنى، أنا رحت قبل كده ورجعت تانى "[يقصد ما حدث حينما أعلن الأطباء وفاته، ثم عاد للحياة مرة أخرى] فقلت لنيافته " ومَنْ رأيت هناك يا سيدنا ؟ " فقال " رأيت أمى – يقصد القديسة العذراء مريم – والأنبا بيمن – يقصد أسقف

ملوى المتنيح "، فقلت لنيافته " الأنبا بيمن مين ؟ " على سبيل اختبار ذاكرته، فقال على الفور " هو اللى كان كمال حبيب بتاع شبرا... تعب كتير ثم راح السماء ".

فقلت متسائلاً " وهل ندمت يا سيدنا على الرجوع ؟ "، فأجاب " طبعاً هناك أريح، أنا تعبت وكبرت... ٨٢ سنة، كفاية، أروّح وأستريح هناك ". ثم تركت نيافته، وأنا لا أود أن أتركه لحظة.

يوم الاثنين ٤ / ١٢

رغم أن يوم الاثنين هو بداية الأسبوع بالنسبة للعمل فى الصيدلية، إلا إننى توجهت إلى العزباوية صباحاً لأقضى وقتاً مع نيافته، وأخذت حلاً من نيافته لكى أُنظف حجرته، والتى كان يهمل نظافتها لشدة نسكه واتضاعه.

وفعلاً قمت – يقول الدكتور عادل – ومعى بعض الآباء الرهبان ومعنا موظفو العزباوية، بتنظيف الحجرة والمرقد الخاص بنيافته والمفارش، وكان نيافته مستسلماً تماماً لما نعمل دون أدنى اعتراض، إلا أنه كان يقول " بسرعة شوية.. كفاية كده... خذوا بالكم من الأوراق والحجج والعقود والإيجارات والمفاتيح".

وكنا نتحدث معاً ونحن نعلم يقيناً أن نيافته لابد راحل يوم ٥

/ ١٢ / ١٩٨٩م، فطلب بعض الآباء نقله إلى المستشفى إذا كان هناك ضرورة، ولكننى كنت أعلم أنه سيكون أسعد حالاً ببقائه بين أولاده الرهبان فى العزباوية، فى المكان الذى أحبه، وبجوار مقصورة أم النور مريم، وفى حجرته المتواضعة، والتى كانت حجرة حبيبه أبينا القمص فلتاؤس السريانى الرئيس السابق للدير، والذى كان نيافته يحبه جداً ويذكره دائماً فى أحاديثه.

فجلسنا بجوار نيافته طيلة يوم الاثنين، وأخذنا نتحدث فى كل شيء، ونقارن بين القديم والحديث، مثلاً أسعار زمان وأسعار اليوم.... وخلافه.

ورغم أننى كنت أعلم أن الحديث يرهق نيافته، إلا أن محبتى له (أو أنانيتى) كانت تغلبنى، فكنت أشتاق ألا أنهى الحديث معه، بل إننى حينما كنت أشعر أن نيافته مرهق، كنت أقول لنيافته " أسيبك تنام شوية يا سيدنا، وأنا أجلس بالخارج فى المكتب "، وحالما أهم بالخروج، كان نيافته ينظر إلىّ بإبتسامة حزينة وكأنه يودعنى، ويقول لا تتركنى فى الساعات القلائل الباقية لى على الأرض، ويقول لى " اقعد ... اقعد... بس اقعد... ما عدش فيه نوم .... ".

وانقضى يوم الاثنين، وجاء يوم الوداع الذى هو

يوم الثلاثاء ٥ / ١٢ م ١٩٨٩م

وبادرت بالذهاب إلى العزباوية فى صباح يوم الثلاثاء ٥ / ١٢ / ١٩٨٩م ووجدت الحالة الصحية لنيافته جيدة نسبياً، وكان نيافته مملوءاً بالفرح والسعادة ومبتسماً دائماً.. ضاحكاً... كثير الحديث...

ثم طلب نيافته الأستاذ مجدى يوسف محصِّل الدير، وأخذ يسأله عن العقارات، والإيجارات، والأطيان، والعقود، ومشاكل الدير مع الفلاحين، وهل سددوا الإيجارات أم لا ؟، ثم أخذ نيافته يحصر أملاك الدير، وكأنه أمين على عُهدة ويتأهب لكى يسلمها لمن بعده.

ولكى أُخرجه مما يفكر فيه، سألته عن قداسة البابا شنوده الثالث (الذى كان فى رحلة خارج مصر) متى سيعود من الخارج ؟ فأجاب على الفور " سيعود قداسته يوم الأحد القادم فى منتصف الليل "، فقلت لنيافته " تيجى معايا نستقبل قداسته فى المطار ؟ " فضحك ضحكة عالية ونظر إلىَّ وقال " أنا ودَّعته قبل ما يسافر بس "، ثم أخذ نيافته ينظر إلى العروق (الأوردة) فى كفى يديه، ويربت عليهما، وكأنه يشعر بقرب إنطلاق روحه من جسده.

وفى حوالى الساعة ١٢ ظهراً، حضر لزيارة نيافته الدكتور مجدى ألفونس الأستاذ بمعهد القلب، فقام سيادته بالكشف عليه، ثم قال لنيافته " لابد من نقل دم لنيافتك، وليس لنا طريق غيره".

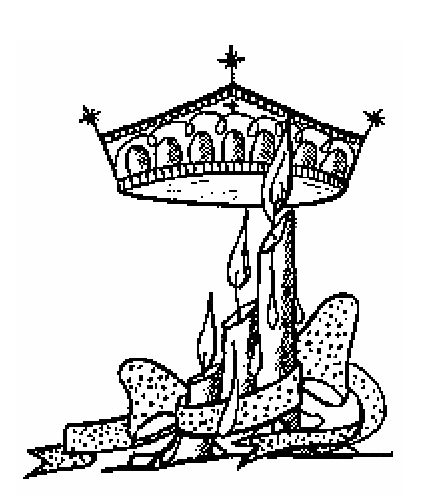
فرفض نيافته فكرة نقل الدم له نهائياً، رغم أننا رتبنا أن يتم نقل الدم لنيافته من بعض أبنائه الرهبان الذين تتفق فصائلهم مع فصيلة دم نيافته، ومن الدكتور مجدى ألفونس نفسه الذى كانت فصيلة دمه تتفق مع فصيلة دم نيافته.

الوضع داخل الدير فى يوم ٥ / ١٢ / ١٩٨٩م

لكى تكتمل الصورة فى ذهن القارىء، نتحدث أيضاً عن الوضع داخل دير السريان، ويجب أن نعلم أن وسائل الاتصالات لم تكن متقدمة مثلما هو الوضع الآن، فلم يكن هناك هاتف (تليفون) فى الدير للاستقبال ولا للإرسال، وبالتالى كانت الأخبار لا تصل إلا متأخرة جداً عن ميعادها.

وقد كان قلة قليلة من رهبان الدير تعتقد وتؤمن بحدوث النبوة فى ميعادها وأن نيافته سيتنيح فى هذا اليوم، ولكن الغالبية لم يكونوا متيقنين من حدوث النبوة، لدرجة أنه بعد غروب يوم ٥ / ١٢ تحدث أحد الآباء مع آخر قائلاً " لقد مر غروب يوم ٥ / ١٢ ولم تتم النبوة "، فأجابه الآخر " إن يوم ٥ / ١٢ لا ينتهى إلا الساعة ١٢ ليلاً ".

ولم يصل إليهم خبر نياحة الأنبا ثاؤفيلس، إلا فى الساعة العاشرة مساءً، حينما ذهب البعض لإحضار الملابس الكهنوتية من الدير لتكفين نيافته فيها، ولكى يبلغوا الآباء بتجهيز المقبرة لنيافته.



رابعاً: نياحة الأنبا ثاؤفيلس

يستكمل **الدكتور عادل باقى** حديثه عن لحظات النياحة، ويشرح بالتفصيل ما عاينه قائلاً:

دقت الساعة تشير إلى تمام الرابعة بعد الظهر من يوم الثلاثاء ٥ / ١٢ م ١٩٨٩م، وحتى هذه اللحظات كانت الأمور تبدو طبيعية، وفجأة انتاب نيافته ضيق حاد فى التنفس، مما جعله غير مستريح فى أى وضع من أوضاع النوم أو الجلوس.

وكان نيافته فى تحركاته كلها، لم يتوقف عن رشم ذاته بعلامة الصليب المجيد، وكأنه يطلب العون الإلهى من رب الصليب، وكأنه أيضاً يقوم بإكمال قانون الميطانيات حسب استطاعته.

وبغتة نظر نيافته تجاه باب الحجرة وقال:

" أنت جيت يا أبونا فلتاؤس (الذى كان رئيس الدير سابقاً)، أنتِ جيتى يا أمى (يقصد القديسة مريم العذراء)، خذونى معاكم ". ثم التفت للآباء الرهبان الكهنة الملتفين حوله وطلب منهم الحل قائلاً (حاللنى يا ابنى .. حاللنى يا ابنى ... أهى روحى طالعة).

وإزاء هذا المنظر لم احتمل – يقول الدكتور عادل – أن أراه معذباً وشعرت باحتياجه إلى الأكسچين، فذهبت إلى صيدليتى

(التى فى مواجهة الشارع الذى به مقر الدير العزباوية) وأحضرت أنبوبة أكسچين بمساعدة أحد العاملين هناك، وقد أُرهقنا جداً بسبب ثقل وزنها وسرعة تحركنا.

وحينما وصلنا مقر الدير، وفى الحوش (المدخل)، شعرت وكأن حوائط المقر يخيِّم عليها الحزن العميق، فتركت الأنبوبة وصعدت بسرعة نحو حجرة نيافته، لأجد نيافته يلفظ أنفاسه الأخيرة، ولكن العجب أن وجه نيافته كان مملوءاً بالسلام والراحة والهدوء، فقد سلَّم روحه الطاهرة، بعد انتهاء مشواره الطويل فى الجهادات، حيث كان عمره ٨٢ عاماً، قضى منها ٦٤ عاماً فى الرهبنة بنسك وزهد وحياة تقشفية حقيقية.

وهكذا رقد نيافته بسلام وسط أولاده الرهبان فى العزباوية، ولم يسمح الله بنقله إلى إحدى المستشفيات، وتحققت النبوة وتنيح نيافته يوم ٥ / ١٢ / ١٩٨٩م وهو فى وسط أبنائه الرهبان.

١ – إعلانات على نياحته فى بعض الأماكن

أ – فى دير السريان:

كان من عادة الآباء الرهبان أن يجتمعوا ليصلوا صلاة الغروب، فى الجزء الخارجى لباب كنيسة المغارة فى الدير (ويُسمى الدوكصار)، وفى يوم الثلاثاء ٥ / ١٢ / ١٩٨٩م،

بعد انتهاء مجمع صلاة الغروب، تعرقل أبونا الراهب يوسف السريانى (الكبير) فى السلم المؤدى إلى خارج الدوكصار، رغم أنه كان يحفظ الخطوات، فكان تعرقله وسقوطه مثاراً للعجب والدهشة.

ولكن بعد ما علم الآباء بنياحة الأنبا ثاؤفيلس، ربطوا الحدثين معاً وفهموا إلى ما تشير سقطة أبينا يوسف، بمعنى أنها تشير إلى أن عموداً عظيماً من دير السريان سقط وهو نيافة الأنبا ثاؤفيلس (وللعلم كان الراهب يوسف الكبير هو أول من يقبله ويرهبنه الأنبا ثاؤفيلس حينما كان قمصاً ورئيساً للدير، وهو أول راهب تنيح بعد نياحة الأنبا ثاؤفيلس).

ب – شماس يراه أثناء نياحته :

شاهد أحد الشمامسة بكنيسة مار جرجس بمصر الجديدة، شاهد روح نيافة الأنبا ثاؤفيلس منطلقة فى الكنيسة، فأخبر جميع من كانوا حاضرين بما رأى، فسجلوا الوقت، واستقصوا عن الحدث، فتأكدوا فعلاً أن الشماس رأى روح نيافته فى نفس اليوم واللحظة.

ويقول **قداسة البابا شنوده الثالث** فى الكلمة التى ألقاها فى قداس ذكرى الأربعين:

" كان الأنبا ثاؤفيلس يحب الرئيس السابق لدير السريان الذى

كان قبله وهو القمص فلتاؤس، وفى ساعة نياحته شاهد نيافته القمص فلتاؤس قادماً نحوه فقال: أنت جيت يا أبونا فلتاؤس، أنا جاى لك، وكان نيافته يعتبر السيدة العذراء أماً له، وعند نياحته قال: أنا شايف أمى جاية تأخذنى ".

٢ – ما حدث أثناء تكفين نيافته :

بعد ما تنيح الأنبا ثاؤفيلس، وذهب البعض إلى الدير وأحضروا الملابس الكهنوتية لنيافته، أرادوا أن يلبسوه إياها لتكفينه بها، ولكن قد مر وقت طويل (السفر إلى الدير والعودة)، ومعروف طبياً أن جسد الإنسان ييبس بعد ٨ أو ٩ ساعات من موته.

فلما أراد الآباء إلباس نيافته التونية، لم يستطيعوا لأن جسد نيافته كان قد تيبس، وحاولوا بطرق متعددة ولم يفلحوا، فأراد أحدهم أن يفك خياطة أحد الأكمام ليتمكنوا من إلباس نيافته التونية، فلم يوافقه باقى الآباء.

وعند ذاك اقترب أحد الآباء من جسد نيافته وقال له " حاللنى يا سيدنا، حاللنى يا سيدنا " والعجيب أن يدى نيافته أصبحت مرنة جداً وكأنها تحركت، وقاموا بإلباسه التونية بسهولة جداً.

لدرجة أن أحد الأطباء الحاضرين قال " إن الأنبا ثاؤفيلس لم

يمت، بل مازال حياً "، ولكنه أجرى الاختبارات الطبية فتأكد أن نيافته قد انتقل فعلاً، ولكن ما حدث هو نوع من عمل الله مع قديسيه.

٣ – الصلاة على جثمانه فى المرقسية:

وفى صباح يوم الأربعاء ٦ / ١٢ / ١٩٨٩م حمله أولاده الرهبان والأساقفة وكل محبيه على أعناقهم، وزفوه من العزباوية إلى أن وصلوا به الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية، حيث تمت الصلاة على جثمانه الطاهر هناك فى وسط جموع لا حصر لها من محبى نيافته من آباء الكنيسة بجميع رتبهم ومن أبناء الكنيسة الأوفياء.

٤ – الصلاة مرة أخرى عليه فى دير السريان:

بعد ذلك تم نقل جثمان نيافة الأنبا ثاؤفيلس إلى دير السريان، حيث تمت الصلاة عليه مرة أخرى فى كنيسة السيدة العذراء السريان بالدير وسط أبنائه الرهبان، فى عصر يوم الأربعاء ٦ / ١٢ / ١٩٨٩م فى وسط مشاعرهم الفياضة نحو أبيهم المتنيح نيافة الأنبا ثاؤفيلس.

وقد ألقى كلمتى الرثاء فى الكنيسة المرقسية وفى الدير نيافة المتنيح الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف، والذى كان من أبناء دير السريان ومن أبناء الأنبا ثاؤفيلس المخلصين، وأما الآباء

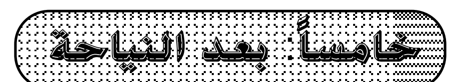
الأساقفة الذين اشتركوا فى الصلاة فهم:

الأنبا أثناسيوس – الأنبا غريغوريوس – الأنبا باخوميوس – الأنبا تيموثاوس – الأنبا أرسانيوس – الأنبا بنيامين – الأنبا أمونيوس – الأنبا أنجيلوس – الأنبا متاؤس – الأنبا بساده – الأنبا ساويرس – الأنبا بيسنتى – الأنبا برسوم – الأنبا أنطونيوس – الأنبا متياس.

٥ – دفنه تحت المنارة

ثم حمله الآباء الرهبان وطافوا به الهيكل ثم صحن الكنيسة ثم الدير، حيث وصلوا أسفل المنارة وهناك دفنوا جثمانه الطاهر فى المقبرة التى أعدها نيافته لنفسه منذ زمن بعيد، ليستريح بها على رجاء القيامة، بعد جهاد مضنى لمدة ٦٤ عاماً فى الرهبنة، منها ٤١ سنة رئيساً وأسقفاً ومدبراً لدير السريان العامر.

نسأل الله أن ينيح نفسه فى فردوس النعيم



فى ذكرى نياحته :

فى الذكرى الأولى لنياحة الأنبا ثاؤفيلس يوم ٥ / ١٢ م ١٩٩٠م، كان يجلس تحت المنارة الكبيرة الكائنة شرق مبنى عمارة القلالى وقبلى صهريج المياه بالدير الأثرى اثنان من الرهبان، وكانا يتجاذبان أطراف الحديث عن ذكريات فى حياة الأنبا ثاؤفيلس، وبينما كان الظلام يخيم على المكان إذ بحمامة كبيرة بيضاء تحوم فوق رأسيهما وتخرج من باب المنارة. وكأنها تكشف عن حلول روح الأنبا ثاؤفيلس فى شكل حمامة بيضاء.

يستجيب لراهب فى مرضه :

أثناء الإعداد لعمل المزار الخاص بالأنبا ثاؤفيلس. وفيما كان أحد الآباء الرهبان فوق السلم ليعلق بعض الصور الخاصة بالأنبا ثاؤفيلس، نودي عليه ليتكلم مع راهب آخر فى التليفون الداخلى، وفيما هو يترل من فوق السلم بسرعة انثنت قدمه، فتألم جداً حتى أنه لم يحتمل أن يضعها على الأرض. فحضر أحد الأطباء والذي كان بالدير وكشف على قدم الراهب. ونصحه بالراحة التامة لحين تجبيسها فى المستشفى. بعد ذلك حمله الرهبان إلى قلايته ليستريح. وبينما هو مطروح على الفراش فى ألم شديد، كان يرفع قلبه فى عتاب قائلاً " يا أنبا ثاؤفيلس بقى كده

طول عمرى أكثر من عشرين سنة حتى قبل الرهبنة وأنا دائماً أحضر أسبوع الآلام بالدير، والآن وأنا فى الدير لا أستطيع أن أحضر أسبوع الآلام. وكمان وأنا أقوم بتعليق الصور بتاعتك يحصل كده "، وبعد هذا العتاب مباشرة شعر الراهب بتنميلة فى قدمه المتألمة، وكان عظامه تتقارب إلى بعضها البعض، وفى هذه اللحظة فرح الراهب وقال " بس الأنبا ثاؤفيلس اشتغل " ثم نزل من فراشه ووضع رجله المتألمة برفق على الأرض، ثم ضغط عليها أكثر فشعر أنها لا تؤلمه، وهنا تأكد من شفاء قدمه. وفى يوم الأحد (أحد السعف) ذهب إلى الكنيسة الساعة الخامسة صباحاً، وحضر كل صلوات أسبوع الآلام كعادته وشفيت قدمه ببركة الأنبا ثاؤفيلس.

الرب ينفعنا بصلاة نيافة الأنبا ثاؤفيلس

وجميع الآباء القديسين آمين

{ الفهرس }

كتب للمؤلف

١ – سفر الرؤيا مع مردات أبوغالمسيس
٢ – دليل الطقوس الكنسية على مدار السنة التوتية
٣ – بستان الفضيلة
٤ - زهور وثمار فى البرارى والقفار
٥ - سيرة راهب معاصر (القمص أوغريس السريانى)
٦ – راهب ناسك (القمص أرمانيوس السريانى)
٧ – راهب مثالى (القمص سمعان السريانى)
٨ – ملاك من السماء (القمص أنجيلوس السريانى)
٩ – المعانى الروحية فى طقس القداس الإلهى
١٠ – روحانية اللحن القبطى فى القداس الباسيلى
١١ – آلام أيوب الصديق كرمز لآلام السيد المسيح
١٢ – شخصيات كتابية ترمز للسيد المسيح
١٣ – العمق الروحى فى لحن " بيك إثرونوس "
١٤ – سيرة المتنيح الأنبا ثاؤفيلس (١٩٠٨م – ١٩٨٩م)